

المنظمة العربية للترجمة

لوقيانوس السميساطي

مسامرات الأموات واستفتاء ميّت

ترجمة

الياس سعد غالي

بالتعاون مع اللجنة الوطنية اللبنانية اليونسكو

توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية

مسامرات الأموات
واستفتاء مَيّت

لجنة الفلسفة :

يوسف تيبس (منسقاً)

فتحي المسكيني

عز الدين خطابي

فضل الله العميري

نجيب الحصادي

المنظمة العربية للترجمة

لوقيانوس السميساطي

مسامرات الأموات

واستفتاء مَيّت

ترجمة

الياس سعد غالي

مراجعة

المنظمة العربية للترجمة

الفهرسة أثناء النشر - إعداد المنظمة العربية للترجمة
السميساطي، لوقيانوس
مسامرات الأموات واستفتاء مَيّت/ لوقيانوس السميساطي؛ ترجمة الياس
سعد غالي؛ مراجعة المنظمة العربية للترجمة.
223 ص. - (الفلسفة)

يشتمل على فهرس.

ISBN 978-614-434-071-4

1. الفلسفة. 2. الأساطير، علم. أ. العنوان. ب. غالي، الياس سعد
(مترجم). ج. المنظمة العربية للترجمة (مراجع). د. السلسلة.

100

"الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن اتجاهات تبنها المنظمة العربية للترجمة"

Lucien

Dialogues des morts et Ménippe

© اللجنة الدولية لترجمة الروائع
(اليونسكو)، بيروت 1966.

© جميع حقوق النشر محفوظة حصراً لـ:

المنظمة العربية للترجمة



بناية "بيت النهضة"، شارع البصرة، ص. ب: 5996-113
الحمراء - بيروت 2090 1103 - لبنان

هاتف: 753031 - 753024 (9611) / فاكس: 753032 (9611)

e-mail: info@aot.org.lb - Web Site: http://www.aot.org.lb

توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية

بناية "بيت النهضة"، شارع البصرة، ص. ب: 6001 - 113
الحمراء - بيروت 2407 2034 - لبنان

تلفون: 750084 - 750085 - 750086 (9611)

برقياً: "مرعبي" - بيروت / فاكس: 750088 (9611)

e-mail: info@caus.org.lb - Web Site: http://www.caus.org.lb

الطبعة الأولى: بيروت، تموز (يوليو) 2015

المحتويات

7	تصدير
13	ترجمة لوقيانوس
43	مسامرات الأموات
	المسامرة الأولى: قارون وبلوتون
45	ومينيب وميداس وسردنبال
49	المسامرة الثانية: هرميس وخارون
53	المسامرة الثالثة: بلوتون وهرميس
57	المسامرة الرابعة: زينوفانت وكاليديميذ
61	المسامرة الخامسة: كراتيس وديوجين
65	المسامرة السادسة: مينيب وهرميس
69	المسامرة السابعة: مينيب وكرفيروس
73	المسامرة الثامنة: خارون ومينيب وهرميس
77	المسامرة التاسعة: بلوتون وبروتيسيلوس وبيرسيفوني
81	المسامرة العاشرة: كنيمون وذامنيب
85	المسامرة الحادية عشرة: ديوجين وموزول

89		المسامرة الثانية عشرة: أياس وأغاميمنون
93		المسامرة الثالثة عشرة: مينيب وتانتالوس
97		المسامرة الرابعة عشرة: مينيب وخيرون
101		المسامرة الخامسة عشرة: ديوجين والإسكندر
		المسامرة السادسة عشرة: الإسكندر
107		وهنيعل ومينوس وسييون
115		المسامرة السابعة عشرة: مينيب وإياكوس وبعض الفلاسفة
123		المسامرة الثامنة عشرة: ديوجين وبوليذيفكيس
129		المسامرة التاسعة عشرة: خارون وهرميس وجماعة الأموات
139		المسامرة العشرون: فيليس والإسكندر
145		المسامرة الحادية والعشرون: أنتيلوخوس وأخيل
149		المسامرة الثانية والعشرون: ديوجين وأنتيشينوس وكراتيس
155		المسامرة الثالثة والعشرون: نيريوس ومينيب وتيرسيت
159		المسامرة الرابعة والعشرون: تيريسيون وبلوتون
163		المسامرة الخامسة والعشرون: مينوس وسوسترات
		المسامرة السادسة والعشرون: مينيب
167		وأμφيلوخوس وتروفونيوس
		مينيب أو استفتاء مَيِت
173		مينيب أو استفتاء مَيِت: مينيب وفيلونيدس
		تصميم الجحيم: كما تخيلها فرجيل في
193		الكتاب السادس من أنياذته
197		الثبت التعريفي
209		الفهرس

تصدير

يسر اللجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو بالتعاون مع المنظمة العربية للترجمة أن تعيد إصدار كتاب مسامرات الأموات الذي يندرج ضمن سلسلة الروائع الإنسانية التي تمت ترجمتها وإصدارها في ستينيات القرن المنصرم في إطار مشروع ترجمة الروائع.

الكتاب هو رحلة متخيلة إلى العالم الآخر، قام بها قبل دانتى في «الكوميديا الإلهية»، وقبل أبي العلاء المعري في «رسالة الغفران» بعدة قرون، لوقيانوس السميساطي وهو عالم وأديب ساخر من مدينة منبج، على الفرات، عاش في القرن الثاني بعد الميلاد، في فترة شهدت خلالها الإمبراطورية الرومانية التي أحكمت سيطرتها العسكرية والسياسية والاقتصادية على العالم القديم عدة ثورات، وحيث بدأت المسيحية تنتشر في عدد من المناطق.

عُرف لوقيانوس بسعة اطلاعه على أدب وفلسفة عصره،

فقد حفظ أشعار هوميروس، وقرأ ليوريبيد وأرسطوفان، ودرس التاريخ والقانون، كما كان شغوفاً بالرحلات والأسفار، فجاب بلداناً عدة في حوض المتوسط متنقلاً بين سوريا ومصر وأثينا وصولاً إلى بلاد الغال (فرنسا). ألف باليونانية العديد من الكتب واشتهر بأسلوبه الساخر، ويعتبره البعض أول من استعمل أسلوب القصة في تاريخ الأدب العالمي.

يعدّ كتاب مسامرات الأموات من أكثر كتبه التي كان لها تأثير كبير في عصر النهضة الأوروبية في القرن السادس عشر. وهو يتضمن 27 قصة وحواراً مع آلهة الأولمب ومسامرات بين ملوك وقادة وساسة وأدباء وفلاسفة من كل العصور يصوغها الكاتب مركزاً على كشف التناقضات الفلسفية، منتقداً المؤرخين الذين يتهمهم بتزوير الحقائق وبالانحياز دائماً إلى الأقوياء. يكشف الكتاب عن حس إنساني عالٍ يرتقي به إلى مصاف الأدب الراقي الذي يتجاوز الأمكنة والأزمنة ويتميز براهنية مستمرة.

الأمينة العامة للجنة الوطنية اللبنانية لليونسكو

البروفسور زهيدة درويش جبور

اللجنة الدولية لترجمة الروائع، المنشأة بموجب اتفاق بين
اليونسكو والحكومة اللبنانية بتاريخ 6 - 9 كانون الأول/ ديسمبر
سنة 1948:

الدكتور إدمون رباط	رئيس
الدكتور فؤاد افرام البستاني	أمين سرّ عام
الأستاذ ج. هـ. غرايمز	أمين صندوق
الأستاذ عبد الله المشنوق	
الدكتور جميل صليبا	
الأستاذ نيكيتا اليسيف	

قرأ هذه الترجمة وفقاً لأحكام اللجنة
الأستاذ أمين كوزاك

"ما روح الأحياء إلا مؤلفة من أفكار الأموات"

غوستاف لوبون

ترجمة لوقيانوس⁽¹⁾

حياته

نكاد لا نعرف عن حياة لوقيانوس شيئاً سوى ما ذكره هو نفسه في بعض مؤلفاته ولا سيما الحلم والاثهام المضاعف والصيد والدفاع. فتاريخ مولده وتاريخ وفاته مجهولان على وجه التحديد ولكن لما كان من المعروف الثابت أنه كتب هيرموتيموس حوالى عام 165 أو 166 بعد الميلاد وهو في الأربعين من عمره أمكننا أن نفترض أنه ولد في عهد العاهل الروماني أدريان نحو عام 125 م. في موطنه سميساط، على الفرات الأعلى. ومما لا شك فيه أن اللغة السريانية لغة لوقيانوس الأولى لأنها كانت لغة التخاطب السائدة في سميساط عهدئذ. ولا شك في أن والده كان من مستوى متواضع ويتعاطى مهنة يدوية، وأن أمه بنت نحات

(1) لقد عزفنا عن استعمال اسم المؤلف الشائع في الفرنسية "لوسيان" وآثرنا استعمال لوقيانوس الاسم الأصلي كما هو وارد في اللغة اليونانية وفي أعلام المعجم المنجد، وقد نقله الأستاذ جورج حداد إلى العربية هكذا (لوقيانوس) في حين أن حرف "الكا" اليونانية المتوسطة نقلت غالباً إلى العربية قافاً، كما في سقراط ولوقا وأبيقورس وأقليدس وديموقريطس.

تماثيل، وكان لها أخوان يمارسان صنعة أبيهما وأن لوقيانوس الصغير لما غادر المدرسة عهد به والده إلى خاليه ليعلماه مهنتهما غير أن لوقيانوس لم يلبث عندهما طويلاً إذ عاقبه خاله لكسره قطعة رخام كلف بنحتها عقاباً أليماً، فلم يستسغ هذه الطريقة القاسية في تعليم هذه المهنة الشاقة فهرب ولم يعد إلى دكان خاله. ثم سمح له بأن يتم دراسته، ولكن أين؟ إننا نهمل ذلك. فقد يكون ذهب في الحال إلى مقاطعة إيونيا⁽²⁾ وقد لا يكون جاء إليها إلا بعد هذا التاريخ بقليل. وكانت إيونيا وقتئذ تزخر بالعلم والعلماء بعد أن استتب السلام وساد الازدهار منذ أن تسلم الأنطونيون الحكم فيها فانبعثت نهضة كبرى لم يسبق لها مثيل في الأدب والفلسفة والتاريخ والبلاغة. لقد أسست فيها مدارس عديدة وكان يدرس فيها أساتذة شهيرون مثل سكوبيلان وكلازومين وبوليمون وآخرون أيضاً كانوا يثيرون حماس النشء المتعطش إلى المعرفة والشهرة.

لقد ذاع صيت هؤلاء الأساتذة حتى بلغ سميساط فجاء لوقيانوس إلى إيونيا لينهل العلم ويتم دراسته للغة اليونانية والتضلع منها. إنه لم يقل لنا من كانوا أساتذته ولكن من الملاحظ أنه قد وجه توجيهاً حسناً في دراسته للأدباء المدرسين (الكلاسيك) لاستشهاداته التي لا تحصى بأقوالهم في مؤلفاته المختلفة. لقد كان يحفظ هوميروس عن ظهر قلبه وعرف معرفة عميقة هسيود وتيوغنيس وبيندار وسيمونيد وشعراء المسرح ولاسيما أوريبيدس⁽³⁾ وأريستوفان وكذلك الفلاسفة

(2) إيونيا (Ἰωνία) (Ionie): المقاطعة الغربية من آسيا الصغرى على بحر إيجه.

(3) أوريبيدس (Euripide) (Εὐριπίδης): أحد شعراء المسرح اليوناني الثلاثة الكبار. ولد في سلامين (480 - 406 ق. م.).

أفلاطون⁽⁴⁾ وأرسطو⁽⁵⁾ وكريسيب وأبيقورس وقرأ مؤلفات المؤرخين كهيرودوتس وتوسديد وكسينوفون والخطباء ولا سيما ديموستين الذي كان يكنّ له تقديرًا كبيراً وأولع بقراءة خطبه ولعاً شديداً بالغاً.

وبعد أن أنهى لوقيانوس دروسه رافع في بعض القضايا مدة من الزمن في أنطاكية، لكنه ما عتَم أن ملّ الحمامة فغادر أنطاكية إلى أثينا⁽⁶⁾ وعدل عن الحمامة إلى السفسة⁽⁷⁾. وكان السفسطائيون

(4) أفلاطون (Platon) (Plátwu) (430-347 ق. م.): من مشاهير فلاسفة اليونان. تلميذ سقراط وأستاذ أرسطو. من مؤلفاته الجمهورية وكريتون وفيدون وتيمه والشرائع.

(5) أرسطو (أرسطاطاليس) (Aristotélhς) (Aristote): أعظم فلاسفة اليونان ورأس الحكماء المعروفين بالمشائين ويعرف بالمعلم الأول. ولد عام 385 ق. م. في مقدونيا وتلمذ لأفلاطون. قام على تربية الإسكندر وتوفي عام 322 ق. م. له مؤلفات قيمة عديدة في الأخلاق والمنطق والبلاغة والشعر والسياسة والطبيعة وما وراء الطبيعة وعلم النفس والفلك وتاريخ الحيوانات والرياضيات. شغف العرب بفلسفته، وترجمت أكثر كتبه في عصر المأمون وشرحها ابن رشد. أصبحت كتبه في القرون الوسطى مرجع الفلاسفة واعتبرت أهم كتب الحكمة إطلاقاً.

(6) أثينا، أثينيون (Athènes) (Athénée) (Athéna) (Ἀθῆναι): أثينا، عاصمة اليونان وأثيني أو أثينا هي مينيرفا. أثيني عند الإغريق ومينيرفا عند الرومان. لما فقد جوبيتر زوجته ميتيس أصيب بصداع شديد فأمر ابنه فولكان بأن يضربه على رأسه بفأس ففعل وانشق رأس جوبيتر فخرجت منه أثيني وعلى رأسها خوذة ويدها رمح فهي إلهة الحرب والسلم معاً، ولذا كانت تروحي الحيل والمكايد والشجاعة وتحبب إلى أصحاب الحرف والفنانين والفلاسفة والشعراء والخطباء مهنتهم وفنونهم وتغري النساء بالخياطة والنسج. أكرمها الأثينيون كثيراً وكرسوا لها هيكل "البرثينون" أي البتول وكانوا يعبدون لها مرة كل أربع سنوات.

(7) سفسة (Sojismós) (Sophisme): السفسة الاستدلال والقياس الباطل أو الذي يقصد به التمويه. والسفسطائية فرقة تنكر الحسيات والبدهييات، والنسبة إليها سفسطائي.

خطباء محترفين يتنقلون من مدينة إلى أخرى ليلقوا في أوساطها المثقفة خطباً أشبه شيء بالمحاضرات التي تلقى في أيامنا هذه. وبذلك كانوا يكسبون مالاً وفيراً وشهرة واسعة. ولوقيانوس الذي كان يشعر بأنه يملك مقاليد البلاغة قد ألقى هو أيضاً محاضرات عامة مثلهم. وقد اضطره مرض في عينيه إلى السفر إلى روما لمراجعة طبيب عيون شهير فيها. فصادف هناك الفيلسوف نيكريнос الذي سبق أن عرفه في أثينا، وقد أثرت فيه خطب نيكريнос حتى كاد يتفرغ للفلسفة. غير أن حب المجد فيه كان أقوى فعاد إلى مهنة السفسطة لما عاد إلى بلاد الإغريق، ثم شرع في رحلاته إلى إيطاليا فغاليا⁽⁸⁾، ويظن بعض المؤرخين أنه علم الخطابة اليونانية في إحدى مدن وادي الرون وأنه كان يقبض لقاء ذلك مبالغ طائلة. وبعد أن جمع ثروة كافية عاد إلى سميساط ليظهر لمواطنيه ما نال من مال وجاه. ثم عاد إلى حياة التنقل فكان في أنطاكية يوم جاء إليها العاهل لوقيوس ويروس لتسلم إدارة لحرب ضد البارثيين. وسمع في إزمير وربما في إفسس أيضاً بعض السفساطيين يروون حوادث تلك الحرب فحملته حماقتهم ودناءتهم على كتابة "طريقة كتابة التاريخ". ثم غادر مع ذويه أنطاكية إلى أثينا التي استهوته وسحرتة بمجتمعها الذكي الراقى، والحياة الفكرية الرفيعة النشطة فيها ماراً بكبادوكيا. وفي الطريق ترك أباه وعائلته يسرون نحو الشاطئ وعرج هو على أبونوتيخوس في بافلاكونيا ليلاقى العراف الشهير ألكسندر وقد صمم على إظهار دجله. ولما التقى به أخفى العراف الخبيث حقيقة شعوره نحو لوقيانوس وتودد إليه وعرض عليه عند عودته زورقاً وجذافين لينقلوه وقد أمرهم سرّاً بأن يلقوا بلوقيانوس في البحر. غير أن النوتي أنزله في إبيال إشفافاً عليه

(8) غاليا (Galatia) (Gaule): بلاد غاليا هي فرنسا.

ومن إبيال انتقل إلى أماستريس فطروادة⁽⁹⁾ ومنها ركب السفينة بصحبة الفيلسوف الكلبي بيرغرينوس الذي أتاح له الفرصة ليكتب مؤلفه بيرغرينوس. وفي أواخر عام 164 وأوائل عام 165 وجد في كورنثس⁽¹⁰⁾ ثم جاء فأقام في أثينا عشرين عاماً.

لقد كان بلغ الأربعين من عمره تقريباً وقد أنضجه التفكير والسن فتخلى علناً ورسمياً عن السفسطة وتلفيقاتها السخيفة ورجع إلى الفلسفة أو بالحري إلى الاهتمام بالأخلاق العملية لا ليعالجها من الناحية النظرية بل ليكشف القناع عن الرذائل ويجعل أصحابها أضحوكة للناس. لقد قال في الصياد: "إنني أكره الصلفاء المتحذلقين المتكبرين والدجالين والكذابين ورجال هذه الطغمة من الأشرار الفاسدين ومهنتي التشهير بهم".

"الفلسفة (تخاطب لوقيانوس): إن هذه المهنة مجلبة للحقد والبغضاء قسماً بهرقل⁽¹¹⁾!"

"لوقيانوس: ولذا أنت ترين كم ألبت عليّ من أعداء ولأي أخطار عرّضتني".

(9) طروادة (إيليون) (Iliou) ("Ilion): مدينة قديمة اكتشفت معالمها قرب مدينة حصارلك الحالية جنوب باب مضيق الدردنيل الغربي. حاصرها اليونانيون مدة عشر سنين. خلد ذكرها هوميروس ووصف المعارك الطاحنة التي جرت حولها في إلياذته الخالدة.

(10) كورنثس (وكورنث) (Corinthe) (rinΘοσόκ): مدينة ازدهرت قديماً. وهي حالياً مرفأ على التربة المسماة باسمها. النسبة إليها كورنثي.

(11) هرقل (هركول وهيراكليس) (Hercule) (Ἡρακλῆς): البطل هرقل بن زفس. تعلم وأجاد مختلف الفنون. هبط الجحيم واقتاد منها كيرفيروس قسراً، ومرة أخرى أعاد فيها الكيستى إلى زوجها.

لقد خلق حقاً لنفسه أعداء كثيرين ولا سيما الكليبيين الذين كادوا يمزقونه حسب قوله لتشهيره بدجل أحدهم بيرغرينوس. ولما كتب "مذاهب تباع بالمزاد" أثار ضده طلاب مختلف المذاهب الفلسفية. وقد نشبت معركة بينه وبين النحوي بولوكوس الذي كان يعلم البلاغة والخطابة في أثينا، فسخر من تعليمه ومن شخصه في ما كتب تحت عنوان "أستاذ الخطابة".

لا نعرف للوقيانوس صديقاً سوى ديموناكس، وهو فيلسوف حقيقي إذ كان يوفق بين سلوكه ومبادئه. أما الذين ورد ذكرهم في كتاباته ككروموس وسابينوس وفيلون وتيموكليس فليسوا بالنسبة إلينا سوى أسماء.

ويبدو أنه تأخر في زواجه لأنه في مؤلفه الخصي الذي كتبه في أواخر عهد مارك أوريل يتكلم عن ابنه الصغير.

إن مهنة مراقبة أخلاق الناس التي مارسها في أثينا لم تعد عليه بنفع كمهنة المحاماة أو السفسطة ويمكن الافتراض أن العشرين سنة التي قضاها في هذه المدينة قد كادت تذهب بشروته. وقد يكون هذا سبب استثنائه أسفاره عام 185 وإلقاء المحاضرات العامة ثم إشغال وظيفة رسمية في الإدارة الإمبراطورية بمصر. إنه لم يسم هذه الوظيفة بل وصفها وصفاً مسهباً في مؤلفه الدفاع عن المأجورين حيث قال: "كنت أقدم الدعاوى وأعين لها دوراً، وأمسك سجلات مضبوطة بكل ما يجري وما يقال وأصنف دفعات المحامين واحتفظ بقرارات القاضي وأودعها مع الأوراق المحفوظة العامة". وأضاف إنه كان يستوفي لقاء عمله هذا راتباً ضخماً وأنه يأمل في الحصول على وظيفة أعلى، كوالٍ على

إحدى المقاطعات مثلاً. لا شك في أنه مات قبل أن تتحقق أمنيته هذه، ويزعم سويداس أن كلاباً مزقته؛ لقد حسب كلاباً حقيقية الفلاسفة الكليبيين الذين سلقوا لوقيانوس بالسنة حداد ومع ذلك فإنه لم يمس بأذى. يغلب الظن أنه توفي في أواخر عهد كومود أي قبل عام 192 بقليل، وبذلك يكون قد عاش 67 عاماً لا 80، كما زعم بعض المؤرخين، تاركاً ثروة مادية كبيرة وأخرى أدبية أعظم قدراً وأبقى.

مجموعة مؤلفاته

للوقيانوس مؤلفات عديدة متنوعة بأسلوبها ومواضيعها إذ أنه طرق كل المواضيع وعالج جميع النواحي الفكرية التي كانت تتنازع العالم المتمدن وقتئذ فضمت مجموعة مؤلفاته 82 مؤلفاً، منها ما هو منسوب إليه، وليس له، ومنها ما هو مشكوك في صحة نسبته إليه ومنها ما هو ثابت أنه له. لقد حاول موريس كروزي في كتابه القيم عن حياة لوقيانوس ومؤلفاته أن يصنف المؤلفات التي يمكن اعتبارها من لوقيانوس حسب تاريخ وضعها بصورة تقريبية. فجعل في طليعتها المحاولات الخطابية المحضنة، مثل قاتل الطاغية، والولد محروم الإرث، ومدح الذبابة، والبهو، ومديح الوطن، وهيباس وغيرها مما يشك في صحته وقد أضاف إليها نيكريوس واختتم هذه الحقبة من نشاطه الأدبي بالحلم، والصور، والدفاع عن الصور، ثم طريقة كتابة التاريخ، وربما كان من الممكن إضافة هارمونيديس والسكبيثي وهيرودوتس وزوكسيس إليها.

لقد رأينا أن لوقيانوس لما عاد إلى أثينا هجر السفسطة

ليلتفت إلى الفلسفة أو بالحري إلى نقد الأخلاق. لقد بدأ هذه الفترة بهيرموتيموس حيث أظهر فيه استحالة معرفة أيّ فرقة من الفرق الفلسفية العديدة على حق وتمسك بالحقيقة. ويجب بعد ذلك مباشرة وضع ثلاثة مؤلفات قيمة: الانهمام، والمذاهب بالمزاد، والصيد، التي يظهر لوقيانوس لنا فيها أفكاره ونياته بجلاء. وقد أضاف كروزي إليها محاورات البانتوميم والاناخارسيس والتوكساريس وما ذلك إلا لصعوبة تحديد تاريخ لها. لا شك في أن لوقيانوس كتب خلال فترة إقامته الطويلة في أثينا محاورات (مسامرات) الأموات ومحاورات الآلهة ومحاورات البحارة ومحاورات الحظايا والوصول إلى الجحيم واستفتاء ميث وشارون⁽¹²⁾ والكلبي والدريك وتيمون والأمانى والمائدة والهاربون والخصمي وإيكار ومينيب وأعياد كرونوس وصديق الكذب وبروميتيه وجمهرة الآلهة وزفس. في هذه المؤلفات كلها يبدو المؤلف الذي أخذ على عاتقه هجاء الرذائل وعيوب البشر والغباوة في الاعتقاد بخلود الآلهة العديدين. ويجب أن يضاف إلى ما تقدم بعض المحاورات الأدبية كالطفيلي وليكسيفان والسفسطائي المزيف وجواب للذي قال له إنك بروميتيه في خطبك، والثناء على ديموناكس الفيلسوف وحملات أو دفوع ضد بعض المعاصرين كتيمارك والجاهل جامع الكتب

(12) خارون (النوتي): (Charon) (Cárwv): ابن الليل، إله هرم شجيج ينقل بزورقه أرواح الموتى من ضفة الستيكس إلى الضفة الأخرى في عالم الآخرة لقاء أجر على أن لا يقل النول عن أبول. وهذا يفسر المشاجرة التي نشبت بينه وبين مينيب في المسامرة الثامنة.

وأستاذ الخطابة وأحاديث السوء وعبيد العظماء والحديث مع هسيود بشأن الشعراء الذين يقال إنهم مترجمو الآلهة، والحداد الذي يسخر فيه من العادات المتبعة في المآتم ومن المعتقدات المتعلقة بالآخرة وبالجحيم ورسالته في موت بيريفرنوس، والتاريخ الصحيح وفيه يسخر من روايات المسافرين والمؤرخين الكيفية والحمارة؛ وأخيراً حياة الإسكندر⁽¹³⁾ العراف.

والفئة الثالثة من مؤلفات لوقيانوس هي التي كتبها بصورة أكيدة في شيخوخته هرقل وديونيسيوس، والدفاع عن المأجورين، والاعتذار لهفوة ارتكبت أثناء التحية؛ وأخيراً مسرحية النقطة والقدم الخفيفة. أما أهاجيه فلا بد أنه نظمها في مختلف مراحل حياته الأدبية.

لوقيانوس تلميذ السفسطائيين

لو عاش لوقيانوس، وهو الكاتب الموهوب، في الزمن الذي فتحت فيه العبقريّة اليونانية في الجيل الخامس، أو الرابع قبل الميلاد، لكان دون شك نافس أكبر الكتاب بأسلوبه الشخصي، لكنه ولد بعد أن نشأت وتطورت جميع المذاهب الفلسفية والأدبية الكبرى فكان لا بد منذ ذلك الحين من الانتظار أجيالاً عديدة لإعادة تفسير الكون وخلق أشكال جديدة في الفن والأدب. أما الآن، وقد بلغت درجة الكمال، فإن الماضي يسيطر على الحاضر وتقليد ما صنع الأقدمون يفرض نفسه فرضاً مع محاولة التجديد قدر المستطاع. وهكذا نشأ في الجيل الثاني بعد

(13) الإسكندر (Alexandre) (Ἀλέξανδρος): الإسكندر الكبير ذو القرنين الشهير في التاريخ. ولد عام 356 ق. م. وتوفي في بابل عام 324 ق. م.

الميلاد هذا النوع من البلاغة الذي سمي السفسطائية الكاذبة. لقد بذل أدباء هذا العصر جهداً كبيراً لإحياء عهد البلاغة كما كانت في زمن ديموستين. ولكن بالنظر إلى فقد الحرية وانعدام المنابر السياسية أصبح الكتاب يعالجون مواضيع خيالية أو هزيلة بدلاً من المصالح الكبيرة التي لها مساس بحياة الشعوب. وطالما أن من المستحيل تشويق الناس إلى الاستماع لمواضيع كهذه، كان لا بد من إثارة فضولهم بجدة الأسلوب وبهرهم بالافتنان في استعمال جميع المحسنات اللغوية واللفظية - كما كان الأمر عندنا في عهد الانحطاط - فلكي يدهش السفسطائيون الناس كانوا في منافساتهم يطلبون أن تقترح عليهم المواضيع اقتراحاً وعندئذ يرتجلون خطبهم فأصبح فنههم كلاماً طلياً موسيقيّ الجرس عفويّاً؛ أما المعنى والموضوع فثانويان جداً.

في مثل هذه البيئة وجد لوقيانوس لمّا جاء إلى إيونيا وسرعان ما اكتسب المعلومات والمعارف التي كانت تتطلبها مهنة السفسطائي ولم يلبث أن أصبح في مقدوره عرض مثل هذه البضاعة في العالم اليوناني والروماني. ولكن يمكن الاعتقاد بأن ثقافته الكلاسيكية القوية التي ثقف نفسه بها وذوقه الطبيعي حفظاه من الانزلاق والتطرف في السخافة والإغراق في التكلف اللذين وقع فيهما زملاؤه. ولأجل تكوين فكرة صحيحة عما كان عليه لوقيانوس وقتئذ وعن فنه الرفيع يجب الرجوع إلى مؤلفاته الجدية التي لا شك في نسبتها إليه كنيغرينوس ومديح الذبابة، إذ يبدو في نيغرينوس ذا روح متحمسة وقلب حساس شاعر بالجمال الأخلاقي مستقيم الأحكام وذا طموح سام، وإنشاؤه المشرق الطلي في هذا الكتاب لا يختلف كثيراً عن إنشائه

في أفضل الكتب التي كتبها إبان نضوجه. إن فن السفسطائي الذي كانه لوقيانوس عندئذ يظهر جلياً في المقدمات كمقدمة هيرودوتس والزوكرسيس هارمونيدس والسكيثي التي يقص فيها على سامعيه، ليجلب انتباههم ويكسب عطفهم، قصصاً تستهويهم ويطبقها عليهم بلباقة وكياسة وبإفراط أحياناً كما فعل في السكيثي، وفي وصف خلية الإمبراطور بابثيا الجميلة. إن تمليقه ما كان إلا محاولة منه ليجد لنفسه حماة أقوياء.

الأخلاق والهجاء عند لوقيانوس

لا يعرف شيء ثابت عن مصير خطب لوقيانوس التي خطبها خلال حياته كسفسطائي متجول. وأغلب الظن أنه هو نفسه أتلّف أكثرها عندما بدا له سخف السفسطة وتحوّل إلى فن فيه جد وإخلاص وحقيقة وأصبح مراقباً للأخلاق. لقد أعطى بهذا الخصوص برهاناً ناصعاً على استقلاله الفكري ولكنه مع ذلك كان يتبع هواه إذ كان ميله الطبيعي إلى الهجاء عظيماً، ولا بد لمن يريد أن يهجو ويهزأ بالآخرين وأن يجعل الناس تصغي إليه من أن يكون على جانب كبير من الظرف والذكاء؛ وقد كان لوقيانوس حقاً شديد الذكاء ظريفاً. وكان له أيضاً سيطرة كبيرة على الناس فرضتها عليهم ثقافته الواسعة ومعرفته للفلسفة معرفة عميقة وإن لم يكن هو نفسه فيلسوفاً، وإن تفلسف أحياناً كما فعل في هيرموتيموس حيث حاول فيه أن يبيّن استحالة الوصول إلى المعرفة وإلى السعادة باتّباع دروس الفلاسفة المتناقضة، وهو لم يكلف نفسه البحث عن طريق جديدة للوصول إليهما فذاك فوق إمكانياته أو ليس من ذوقه إذ إنه ما أحب قط الأعمال الطويلة التي تتطلب أبحاثاً طويلة وتأمّلات عميقة، ولأنه كان يحترق

العلم ولا سيما الهندسة. ولكي يعرف هو نفسه أو بالحري ليرشد إلى الطريق المؤدية إلى السعادة تخيل نزول مينيبي إلى الهاوية ليستفتي العراف تيريسياس الذي أجابه: "إن عيشة الجهلاء هي الأفضل والأحكم. فأقص عنك إذن الرغبة الجنونية في تعليل الظواهر السماوية والتدقيق في الغايات والمبادئ، واحتقر هذه القياسات المعقدة واعتبر ذلك كله ثرثرة باطلة ولا تبحث في كل شيء إلا عن شيء واحد ألا وهو استخدام الحاضر استخداماً حسناً ودع أكثر الحوادث تعبر وأنت تضحك ولا تنظر إليها نظرة جدية". إن هذا المبدأ مبدأ أبيقوري. والأبيقورية هي العقيدة التي كان لوقيانوس يميل إليها حقاً. إذ إن لوقيانوس ما كان يشاطر الأبيقوريين احتقارهم العلم والمعتقدات الدينية والآلهة التي كانوا ينكرون عليها فقط عنايتها وتدخلها في شؤون البشر فحسب بل كان لا دينياً لا يعتقد بوجود الآلهة. لقد أظهر لوقيانوس الشيء الكثير من الذكاء والفطنة وأصالة الرأي في نقده أخلاق معاصريه وآراءهم السخيفة. وبأسلوب رشيق وروح خفيفة وصراحة لا تعرف المحاباة ولا الرحمة أزال القناع عن خداع الممخرقين والسفسطائيين وأظهر للجُمهور مسكنة أولئك الذين كانوا يتمتعون لديه بألقاب ضخمة كخطيب وأديب وفيلسوف وحقيقة مقدرتهم الفلسفية والأدبية مجردة من كل طلاء وزيف. لقد عمل لوقيانوس بإخلاص على إصلاح الناس حسب هواه بنقده العيوب الشائعة وتشهيرها تشهيراً لا دعاً مؤلماً، وإن لم يأت بحقائق كثيرة، وإليه يرجع الفضل في تبديد الكثير من الأوهام والأباطيل والسخافات التي كانت مستحوذة على عقول أكثر معاصريه. إن استئصال فكرة خاطئة من رأس مواطن لأجدي كثيراً من استئصال ورم في الجسد كما يقول أبيكتيتوس.

أعجب لوقيانوس جداً بمحاورات أفلاطون لما عليه أبطالها من طبيعة وحقيقة. فاختار المحاورة في أكثر كتاباته، غير أن محاوراته قصيرة جداً، بالنسبة إلى محاورات أفلاطون، وأكثر أبطالها مختلف فهم يتخاطبون حسب هواه ومشيتته المطلقة في مواضيع فلسفية وسواها فيها كثير من الجد وكثير من العبث والهزء وفيها ما يشبه الألغاز الحكمية والأخلاقية، ومنها ما ليس له قيمة سوى حسن السبك والأداء؛ أما البعض الآخر فهو تام التأليف في نوعه وخليق بالمنزلة الثانية بعد محاورات أفلاطون العظيم. لقد دلنا هو نفسه في "الاتهام المضاعف" على ما أدخل على أسلوب الحوار الأفلاطوني من تغيير: "لقد بدأت بتعليمه كيف يمشي على الأرض كسائر البشر، وأزلت عنه ما كان يغشيه من درن وغلظة، وأجبرته أن يتنسم، وبذلك صيرته محبباً في عيون الناظرين، ولكنني أشركته في الأسلوب الهزلي؛ وبهذا المزج اكتسب عطف المستمعين الذين كانوا حتى هذا التاريخ يخشون الأشواك التي كان مسلحاً بها ولا يجرؤون على مسّه كأنه قنفذ". لقد جعل المحاورة كوميدياً صغيرة مقلداً بذلك فيلسوفاً كليياً عاش في الجيل الثالث قبل المسيح وهو مينيب من كادارا الذي ألف كتاباً عارض فيه هزواً وسخرية الشاعر الكبير هوميروس وكتب أيضاً رسائل من أبطالها الآلهة أنفسهم. قد يكون مينيب أوحى إليه بفكرة المحاورة الهجائية وتقليد الاختراعات الجنونية كالتي رواها في إيكار ومينيب وخارون واستفتاء ميّت حسبما كان متبعاً قديماً في الروايات الهزلية، غير أن مؤلفات مينيب مفقودة ولذا لا يمكن أن يحكم إلى أي مدى تأثر لوقيانوس به وبكم هو مدين له رغم اعترافه

في الصياد بفضل مينيبي عليه. ويجعله أهم شخصية في عدد من مسامرات الأموات وفي استفتاء مَيّت وغيرهما من مؤلفاته العديدة دليل على تقديره له وتأثره به. ولوقيانوس مدين أيضاً بالشيء الكثير لكراتينوس وأريستوفان أحد كبار شعراء المسرح اليوناني. وتأثر أيضاً في محاورات القيان وبعض "المحاورات البحرية وبالقوادة وبروكرينيت لهيروننداس وبقصص تيوكريت المضحكة: الساحرة وحب كينيسكا والسر قوسيات.

غير أن تفوّق لوقيانوس يظهر جلياً في محاورات الآلهة، والآلهة البحرية، ومسامرات الأموات وفي الدراما القصيرة مثل تيمون وبروميثيوس واستفتاء مَيّت وخارون ومذاهب بالميزاد والصياد والديك وإيكار ومينيبي. إن الحديث فيها تملّيه دائماً فكرة هجائية أو نية أخلاقية أو فلسفية. لقد كان يتخيّر ألفاظه ونكته لجعل النتيجة دائماً حاضرة في ذهنه. فعندما رب الأرباب زفس يشكو إلى هيروس همّه لعدم محبة سراريه له، وعندما يتخاصم مع زوجته هيرا بسبب خياناته العديدة، وعندما يذكر لكانيميد ماذا ينتظر منه، فإننا لا نرى فيه إلهاً بل رجلاً عادياً راكضاً خلف الإناث مغتصباً سافلاً شرساً. لقد مات الإله وكان كافياً للقصاء عليه أن جعله لوقيانوس يتكلم مظهراً حماقة الأسطورة جلياً بسؤاله سؤالاً بسيطاً بريئاً في الظاهر كأن لا خبث فيه ويضطر الإله نفسه أحياناً بعد أن يقنعه أحد الناس في حديث أو جدل إلى الاعتراف بعجزه تجاه القدر وعدم جدوى الصلوات التي يتتّهل بها إليه. ومما يدل على ضعف عقيدة لوقيانوس الدينية أو عدمها وعلى تراخي أحفاد أولئك الذين حكموا على سقراط⁽¹⁴⁾

(14) سقراط (thçáp χSω) (Socrate): فيلسوف يوناني عظيم (468 - 399 ق. =

بالموت محافظة منهم على معتقداتهم في الدين قول أحد أبطال
محاوراته مخاطباً زفس:

"يا جوبيتير... يا مرسل البروق وجامع الغيوم ومطلق الرعد
القاصف،

"يا من يدعوك الشعراء في تحمسهم بأسماء أخرى لا سيما
عندما تضايقهم

"الأوزان فتسمى عندئذ حسب هواهم بأسماء مختلفة
فتحول دون

"اختلال وزن البيت من الشعر، أين الآن ضجيج بروك
وزممة

"رعودك الرهيبه وصاعقتك الملهبة المشعشة الراجعة؟ ما
هنّ منذ زمن

"بعيد سوى حماقات اختلقتها أدمغة الشعراء ولم يبق منهم
سوى صلصلة

"الألفاظ. تلك الصاعقة التي تصيب الهدف من مسافة
شاسعة يداك

"كأنتا مسلحتين بها دائماً فلا أدري كيف خبت واضمحلت
حتى

= م.) ولد في أثينا وعلم في أزقتها وبين الجماعات. أسلوبه عاتي يتتبع السؤال
والجواب. قاوم السفسطائيين فتحالف أعداؤه عليه وجروه إلى المحاكم فحكم
عليه بشرب السمّ فشربه ومات. امتاز بنبل الأخلاق والشهامة. بلغت إلينا تعاليمه
في كتب تلميذه كسينوفون ولا سيما أفلاطون.

"لم يبق منها شرارة غضب واحدة لتعاقب الأشرار... يبدو للبشر

"أنك لا ترسل سوى جذوة قديمة فلا يخشون نارها ولا دخانها ولا تستطيع أن تلحق بهم أي أذى..."

إن لوقيانوس هدام مروّع كفولتير الذي كثيراً ما شُبه به مع ما بينهما من فارق. إذ إن فولتير يهاجم العقيدة خصوصاً باسم التساهل والتسامح لزحزة نير دين يضغط، في اعتقاده، على الفكر، أما لوقيانوس فإنه يهاجم العقيدة باسم العقل لأن الضلال صدم وإهانة.

محاورات (مسامرات) الأموات

وكأنني بلوقيانوس أراد أن يجمل انتقاداته لمعاصريه في كتيب واحد فوضع محاورات الأموات هذا المؤلف الطريف الفريد في نوعه حتى ذلك العهد. لقد ضمن كتابه هذا فكرة بارعة خصبة وطريقة طريفة مبتكرة في نقد أخلاق البشر وعاداتهم بأسلوبه الشائق الدال على خفة روحه وسعة خياله وفيض قريحته وعظيم اقتداره على التهكم والسخرية مما كان شائعاً في عصره من خرافات وسخافات ومن أوهام وأباطيل.

لقد نظر لوقيانوس هذه المرة إلى حياة الناس وأخلاقهم من على شاطئ الآخرين... ومن عالم الأبدية حيث لا ظواهر مموهة خلافة ولا أوهام مغررة خداعة تغشي على بصره فتفسد نظرياته وأحكامه. لقد نظر إلى الحياة مجردة من ذلك الطلاء

الزائف الذي يطليها به المجتمع، وتوصلاً إلى غايته جعل
الأموات أنفسهم يتكلمون واتخذ الفيلسوف الكلبّي ديوجين
أحياناً ومينيب غالباً وهو متبصر هازل مثله بطلاً لعدد كبير من
محاواراته هذه.

وما مينيب، "ذلك الأصلع الذي يرتدي أسماً بالية كثيرة
الثقوب والرقع المختلفة الألوان الذي لا ينفك عن الضحك
والاستهزاء بالناس" "ذلك الحر الجريء الصريح العديم
الاكتراث العزيز النفس"، في هذه المحاورات، إلا كسائر أتباع
أنتيسينوس⁽¹⁵⁾ تلميذ سقراط ومؤسس المدرسة الفلسفية الكلبية،
الذين أعجبوا بتواضع سقراط وبساطته في معيشته وأعماله
وتصرفاته وصراحته في سلوكه وأقواله، فأسرفوا في محاكاته
حتى إنهم كانوا يشترطون على من يودّ الانضمام إلى زمريتهم أن
يزهد في خيرات الدنيا ويهرجها ويهبط من مكانته الاجتماعية إلى
مستواهم فيلبس كعامة الشعب. لقد كانوا يطلقون شعور رؤوسهم
ولحاهم ويحملون العصا بأيديهم والجراب على ظهورهم
ويلتمسون القوت كالشحاذين المحترفين، لا مأوى لهم سوى
المعابد والأماكن العامة الأخرى، وما قصة ديوجين⁽¹⁶⁾ الذي

(15) أنتيسينوس (وأنتستانس وأنتيستنس) (Antisthènes) (Avtisthénēs):
مؤسس المدرسة الكلبة. تتلمذ لغورغياس ثم لسقراط وعلم بعده في مكان
يدعى "الكلب السريع" فأطلق عليه وعلى تلاميذه لقب الكلبين. ولعل هذا
اللقب لحقهم لسماجتهم وغبابة أطوارهم أو لتشبيههم أنفسهم بالكلب.
ازدري العلوم وقصر كلامه على الفضيلة لأنها وحدها ضرورية في الحياة.
كان يحمل على اللذة وأتباعها، فكانت الكلبة عنده سيرة وحياة لا مذهباً
فلسفياً.

(16) ديوجين (Diogène) (Dioγένης): فيلسوف يوناني (413 - 323 ق. م.)
تلميذ أنتيسينوس مؤسس المذهب الكلبّي. قاوم أشد مقاومة العادات والتقاليد =

كان يأوى إلى برميل بمجهولة⁽¹⁷⁾.. وكانوا يغشون المجالس ويتطفلون على الموائد ويجابهون الحضور ببيان نقائصهم بلا خجل ولا وجل بل بكل جرأة وقحة لا يفرقون بين مقامات الناس ويدعون في ذلك كله أنهم إنما يؤدّون رسالة كلفهم بها جوبيتير إن هي إلّا ملاحظة عيوب الناس وتشهيرهم متذرعين بلقبهم "الكليبتون" ليقولوا إنهم حراس الفضيلة ينبحون على الرذيلة كما ينبح الكلب الحارس ساعة الخطر. وهذا ما يفسر لكل من يطالع هذه المحاورات غرابة أطوار مينيب وتصرفه العجيب وإعجاب لوقيانوس به واختياره إياه بطلاً لذلك العدد من محاوراته مما يحمل على القول بأن لوقيانوس الشكّاك السفسطائي في أول أمره كلبّي صريح في محاورات الأموات بالرغم مما آلت إليه الحال بينه وبينهم عندما شهّر بأحدهم "بيريجرينوس".

لقد ضمّن لوقيانوس كتابه هذا ستاً وعشرين محاورة، (وينسب إليه غيرها مشكوك بصحته)، مستقل بعضها عن بعض. فيها جد وعبث وفكاهة وفلسفة، مسرحها الهاوية وأبطالها ملوك وطغاة، أغنياء وفقراء، أقوياء وضعفاء، فلاسفة وعرافون وساعون وراء التركات وأبطال خرافيون.

وأول ما يبدو أن داء الطمع كان متفشياً في ذلك العصر وفي ذلك المجتمع حتى خص لوقيانوس بست من هذه المحاورات

= وصب جام احتقاره على اللياقات الاجتماعية. كان يأوى إلى برميل لينام فيه. عده ابكتيت مثلاً في الحكمة اقترّب من الكمال أكثر من أي إنسان. أقام له الكورنثيون نصباً تذكاريّاً والسينوبيون مواطنوه تماثلاً.

(17) انظر ديوجين وبرميله اللوحة رقم 18.

أولئك الطماعين الممالقين المداهنيين المترلّفين الذين كانوا يحومون حول الأغنياء المستنّين ويتقرّبون إليهم بشتى الوسائل ويظهرون ضروب المحبة لهم والغيرة عليهم والعناية بهم بل كانوا يوصون لهم بأموالهم لعلّ أولئك الأغنياء يقابلونهم بالمثل أو ينصبون لهم الأشرار ليقضوا عليهم وينالوا مآربهم من أقصر طريق. ويضحك القدر ضحكته فيموتون قبلهم ويصبحون على ما فعلوا نادمين متألّمين حتى في عالم الأبدية. لقد استعجلوا الأشياء قبل أوانها فعوقبوا بحرمانها.

وخص أيضاً بخمس منها أولئك العظماء والأغنياء المترفين الذين قضوا العمر في العز والملذات كقارون⁽¹⁸⁾ وميداس وسردنبال وموزول. كما أنه ندّد كثيراً بالمغرورين بجمالهم الزائل وعظمتهم الفارغة وادعائهم السخيف. وسخر ما استطاع من العرافين والدجّالين الممخرقين واستخف بالفلاسفة وجهلّهم ولم ينس أولئك الفقراء الضعفاء الذين يتعشقون الحياة ولا يجدر بهم سوى التوقان إلى الموت الذي يشفيهم وحده من كل مرض وألم ويريحهم من كل عناء.

وكشف لوقيانوس بتهكمه واستهزائه النقاب عن زيف الصداقة المبنية على الطمع وحب الذات وعن نفاق الدجّالين المضللّين وسخف الأدعياء المغرورين المتغطرسين وعن حقارة

(18) قارون (Crésus) (soVikpo): آخر ملوك ليديا في الجزء الغربي من آسيا الصغرى عاش في الجيل السادس ق. م. ضرب به المثل بالغنى والثروة الطائلة التي كان يغذيها وينميها التبر الذي كان يجرفه نهر الباكطول الذي يقال إن ميداس اغتسل فيه.

الثروة المادية ومغبة اللذة العابرة والجمال الزائل والمجد الباطل وعن حقيقة عدل الآلهة.

لقد اشتهر لوقيانوس بكتابه هذا لطرافة موضوعه، ولأنه يدل على أخلاق صاحبه وأسلوبه وشخصيته خير دلالة. لقد كان له ذكر بعيد وأثر عميق في عالم الفكر والأدب، فنسج الأديب الفرنسي الكبير فيلون وفونتونيل على منواله، وبه وبما ضمنه من تهكم تقدّم وفاق حتى فولتير والمعري أيضاً، وكان جريئاً وصريحاً فلم يلجأ إلى التقيّة كالمعري لأنه لم يكن يخشى شراً من مجتمعه بالرغم من تهجمه على معتقدات ذلك المجتمع وآلهته، ولم يأت تهكمه جارحاً مؤلماً كتهكم فولتير لأنه لم يكن مثله سيئ القصد همّة التشفي والانتقام.

إن لوقيانوس في محاورات الأموات سبق بأجيال عديدة دانتى والمعري أيضاً في الهبوط إلى عالم الأموات واستنطاقهم غير أنه لم يذهب بأبطاله ليلبغ بهم الهاوية إلى آخر تخوم العالم الغربية إلى ما وراء "نهر الأوقيانوس" العميق، إلى تلك البقعة المظلمة التي يكتنفها الضباب الكثيف حتى لا تنفذ إليها أشعة الشمس حيث تهيم أرواح الموتى كما فعل هوميروس بأوليس⁽¹⁹⁾ الذي ذهب إلى هناك ليستشير روح العراف تريسياس، كما أنه لم يطل الحديث كفرجيل في الكتاب السادس من إنياذته عن البحث

(19) أوليس (أوديسفس، أوديسيوس، عيلوش، عيلوس): شخص واحد (Ulysse) (Odusse): ملك ايثاكيّا، ابن لايرتيس وانتكلي وزوج بينيلوبي ووالد تيلماخوس، أحد مشاهير أبطال اليونان الذين حاصروا طروادة وافتحوها. امتاز بفضته ودهائه. جعل هوميروس من رجوعه إلى موطنه موضوع الأوديسة.

عن مقر الأموات ولم يصف مثله الطريق المؤدية إليه وما صادف فيها - وقد فعل لوقيانوس ذلك في استفتاء مِيت التي ألحقناها بالمحاورات لاتصالها الوثيق بها من حيث الأهمية والموضوع - ولم يقسم الهاوية كفرجيل أيضاً (تراجع الخريطة ص 139 و140) إلى أقسام حيث وضع في كل منها فئة من البشر كالأطفال الذين لا قوا حتفهم ساعة ميلادهم ثم الأبرياء الذين حكم عليهم بالموت ظلماً ثم الذين انتحروا ثم كبار المجرمين في الترتار ثم السعداء في مقر النعيم، ولم يفعل كأبي العلاء في رسالة الغفران، الذي بخفقة جناح من خياله الرائع نقل ابن القارح بطل رسالته إلى الجنة حيث أخذ يطوف به، ولا كدانتى الذي ساح في عالم الخلد من الينبس فالجحيم فالمطهر حتى السماء وفق خطة مرسومة فنية دقيقة مدهشة، بل أوجدنا مباشرة بلا توطئة ولا إبطاء في صميم الهاوية حيث أخذ يرفع أمامنا الستار عن مشهد ثم يسدله ليرفعه مرة ثانية عن مشهد جديد يختلف عن سابقه اختلافاً كلياً، لا تربط بين مشاهدته المختلفة رابطة سوى أنها تجري كلها في العالم الثاني المظلم، ولذلك آثرنا تسمية هذه المحاورات بالمسامرات لأنها كلها تجري في مكان مظلم كفحمة الليل.

لقد كان لوقيانوس في مؤلفاته كلها، ولا سيما في محاوراته هذه، حرّاً في تفكيره، حرّاً في كتابته، جريئاً في انتقاده عيوب معاصريه، يخلق بالكثيرين من كتابنا وأدبائنا أن ينسجوا على منواله فيما يكتبون فيبدون آراءهم بلا خشية ولا تقية لا ركضاً وراء منفعة شخصية ولا استرضاءً لكبير أو مداراة لجهل الجماهير بل بكل حرية وجرأة أدبيتين في سبيل الاستقلال الفكري، فما

أحوجنا إلى التعرّف إلى لوقيانوس ومحاكاته في سلوك سبل النقد النزيه بغية كل إصلاح وتقدم صحيح لا سيما ونحن لا نزال متخلّفين كثيراً، شئنا أم أبينا وكابرنا، عن ركب الحضارة الحديثة التي غيرت كثيراً من المفاهيم وبدّلت كثيراً من القيم، وما أشبه عصرنا في بعض النواحي بعصر لوقيانوس. إننا وإن بدأنا بالسير في الطريق الصحيحة، طريق النهوض والتقدم، فإن الدرب لا يزال طويلاً وشاقاً ولا بدّ لمن يبغي الحياة من محاولة اجتيازه، وكل من سار على الدرب وصل...

وبعد، فإننا نضع ترجمة هذه المحاورات (أو المسامرات) بين أيدي القراء لتحظى بمطالعتهم عسى أن يجدوا فيها من التفكّهة والفائدة ما وجدت منذ تعرفت بها يوم كنت طالباً على مقاعد الدراسة حتى اليوم. وتسهيلاً لفهم النص وإتماماً للفائدة زيناها بلوحات أسطورية وتوجنا كلاً منها بيت من الشعر للمعري هو في أغلب الأحيان خلاصة لها - توطئة لدراسة مقبلة - وذيلناها بخارطتين للبلاد اليونانية وآسيا الصغرى موطن المؤلف والأماكن التي مرّ بها وبفهرس أبجدي مسهب بأسماء آلهة اليونانيين والأشخاص الحقيقيين والخرافيين الوارد ذكرهم في النص وبعض الفوائد الأخرى، وقد آثرنا في استعمال بعض أسماء الأعلام الشائع المأنوس منها على الصحيح كأفلاطون وفيثاغوروس⁽²⁰⁾ ودوجين على بلاطون وبيتاغوروس وذيوجين

(20) فيثاغوروس (بيتاغوروس) (Pythagore) (Πυθαγόρας): أحد مشاهير حكماء اليونان ولد في جزيرة ساموس نحو (600 ق. م.). طوّف في أنحاء الشرق وجنوب إيطاليا. عرف بالفضل والعلم وبعاطفة دينية قوية. العلم في نظره وسيلة

وآثرنا أيضاً على كلمة زوس الواردة في معجم الأساطير وزفر
الواردة في المنجد وزيوس الواردة في ترجمة الألياذة لدريني
خشبة كلمة زفس كما هي واردة في ترجمة الألياذة لعنبرة الخالدي
وسليمان البستاني والمعجم اليوناني، وعلى كلمة جوبتار الواردة
في المنجد كلمة جوبيتير الواردة في معجم الأساطير والشائعة
بهذا اللفظ في الأدب الفرنسي، وإتماماً للفائدة ذكرنا، في فهرس
الأعلام، أسماءها باليونانية والفرنسية.

الدراسات القصيرة

إن محاورات (مسامرات) الأموات بسيطة التأليف. إنها
محادثات لا مفاجآت فيها ولا تقلبات ولا عمل. أما المحاورات
الكبيرة مثل تيمون والديك والوصول إلى الجحيم فهي أشد تعقيداً.
وفي هذه المحاورات خاصة يتبع لوقيانوس هواه ويتخيل على
مثال الهزليين القدماء مشاريع ومغامرات فائقة الطبيعة. فتيمون
الذي عاد إليه غناه بأعجوبة يستقبل مملّقيه القدماء بضربات من
معوله. ومينيب يهبط إلى الجحيم بقيادة مجوسي بابلي أو يصعد

فعالة لتهديب الأخلاق وتقديس النفس. ذاع صيته وأقبل عليه المريدون. أنشأ
فرقة دينية علمية فتحها للرجال والنساء الذين عاشوا في عفة وبساطة واشتغلوا
بالرياضيات والفلك والموسيقى والطب وشرح هوميروس وهسيود واهتموا
بالسياسة. أول من وضع كلمة الفلسفة. ويعزى إليه تقويم الحساب المعروف
بجدول الضرب. كان لأتباعه أثر خطير في العلوم والفلسفة. الفيثاغورية حركة
نهضة عظيمة فهي نحلة دينية تؤمن بالخلود والتقمص، ومذهب فلسفي يقول بأن
مبادئ الأعداد هي عناصر الموجودات وأن العالم أشبه بعالم الأعداد بل عدد
ونغم منه الماء أو النار أو التراب، ومدرسة علمية عنيت بالرياضة والموسيقى
والفلك والطب، وهيئة سياسية ترمي إلى إقرار النظام في الحياة. آثارهم مفقودة.
المنسوب إلى فيثاغوروس منحول أو مشكوك فيه. مخيلة أتباعه نسجت حوله
الأساطير فقيل إنه ابن أبولون أو هرميس ورويت عنه الخوارق.

إلى السماء بأجنحة مزيفة، وخارون يصعد إلى عالم الأحياء، وتباع المذاهب الفلسفية بالمزاد وتصاد الأسماك الفيلسوفة بالشص من أعلى الأكروبول. فالمشاهد هنا أكثر تنوعاً واضطراباً إذ ينتقل المؤلف بنا من الأرض إلى القمر وإلى الأولمب ومن بلد إلى آخر ويستبدل الممثلين القدماء بجدد دون أن يكون هنالك عقدة أو رابطة صحيحة سوى نوع من العمل يستمر حتى النهاية. هي بصورة مجملة كوميديا على طريقة أريستوفان.

الطبائع

إن أبطال هذه المحاورات كلها أيّاً كان نوعها حتى المحاورات الفلسفية كهيرموتيموس لهم حيوية وطبيعة خاصة. فلوقيانوس يهتم بشخصياتهم وأفكارهم. إننا بفضل يمازجه العطف والشفقة نتبع هيرموتيموس الطيب الساذج الذي يمضي من خيبة إلى خيبة ثم يندب أوهامه الضائعة. ونسرّ لرؤية باريسيادس الخبيث المتبصر البارع يصطاد الفلاسفة بالشص، ولمشاهدتنا ذلك الطاغية المحدود العنيد يطلب أن يعود إلى الأرض ويأمل أن يستميل كلوثو بكثرة رجائه وهداياها. فكراهية تيمون للناس وشراسته في الانتقام وكذلك مرح مينيب وازدراؤه جميع الأباطيل وصراحته وسخريته هي الخطوط البارزة التي تثبت تثبيتاً قوياً شخصية ما. ولكن يجب الاعتراف بأن هذه الخطوط إنما هي خطوط عامة وليست شخصية فردية وتنطبق على فئة من الناس وليس على شخص معيّن. إن غاية كتابات لوقيانوس وإيجازه لا يساعدان على درس الشخصيات دراسة عميقة ولكن يمكن القول بأن الفكرة الأخلاقية أو الهجائية هي الجوهر، وتصوير الأخلاق كتصوير أفلاطون لها يأتي في الدرجة الثانية.

مؤلفات لوقيانوس الأخرى

ليست المحاوراة أسلوب لوقيانوس الوحيد. لقد كتب رسائل هجائية بأسلوب قصصي في موت بيرغرينوس وحياة الإسكندر العراف وهجاء الجاهل جامع الكتب النادرة وتحريضات في رسالته بشأن من هم في خدمة الكبار وأستاذ الخطابة والجواب إلى تيمارك ورثاء الفيلسوف ديموناكس، ونجد في هذا المؤلف الأخير ما نجده في المحاورات من روح هجاء، وإذا لم يكن لهذه المؤلفات ذلك الطابع التشويقي كما في الدراما ففيها حسنات من نوع آخر: قريحة لا ينضب لها معين وملاحظات لاذعة وقصص مسلية وكلمات لطيفة واستشهادات. كل ذلك بشكل معقول يمازجه التهكم الرقيق.

كيفية كتابة التاريخ

إن روح الانتقاد عند لوقيانوس هي التي أملت عليه "كيفية كتابة التاريخ". لقد قام عدد ممن يدعون أنهم مؤرخون، بالكتابة عن الحرب التي وقعت مع البارثيين عام 163 فكان منهم معلقون لا يستحون فقللوا من قدر العدو وكالوا المديح للرومان كيلاً جزافاً، ومنهم كذابون شوهوا حقائق أو اخترعوا وقائع، فساء ذلك لوقيانوس وأخذ قلمه ليلسع به مختلقي الأكاذيب. إنه لم يبحث في كيفية كتابة التاريخ بحثاً علمياً حقيقياً بل اهتم بهجاء المؤرخين غير أنه أورد عدداً من النصائح ترفع من قدر تفكيره ومحاكمته، ومما قاله أنه: "يجب على المؤرخ أن يكون جريئاً مستقلاً في الرأي صريحاً محباً للحقيقة... لا يدع للحقد أو الصداقة أي تأثير عليه، لا يحابي أحداً شفقة عليه أو خجلاً منه

أو احتراماً له، وأن يكون قاضياً نزيهاً رفيقاً بالجميع لا يعطي أحداً إلا ما يستحق، وغريباً في مؤلفاته كأن لا بلد له ولا قانون ولا مبدأ يكبله فيسرد ما جرى غير مهتم بما سيقوله فلان أو فلان". أما من ناحية الأسلوب والإنشاء فغاياته الوحيدة "أن يعرض الوقائع بوضوح دون تمويه أو ابتذال ودون اللجوء إلى ألفاظ غريبة أو مهجورة أو يستشتم منها رائحة الساحة العامة أو الحانات بل باستعمال ألفاظ مأنوسة يفهمها السوق من الناس ويمتدحها الخاصة الماهرون".

التاريخ الحقيقي

من بين مؤلفات لوقيانوس الأخرى نكتفي بذكر هذا المؤلف الصغير الممتاز التاريخ الحقيقي الذي عارض فيه الحديث الخرافي الذي أدلى به أوليس (عيلوش) في قصر الكينوس وأحاديث أخرى من النوع ذاته كأحاديث أيامبولوس عن البحر الكبير. عجب المؤلف لدى وصوله إلى تخوم الأوقيانوس فاخطفه إعصار شديد مدة 79 يوماً ثم ألقاه مع رفاقه في جزيرة أنهارها من خمر، وصعد إلى القمر، وحارب سكان الشمس، ومكث في بطن حوت وتمونّ بالماء من جزيرة من جبن، وصادف رجالاً أرجلهم من فلين يمشون على الماء، وزار جزيرة السعداء، فأعطاه أوليس رسالة إلى كاليبسو في أوجيجي، وبعد هذا العدد الكبير من المغامرات العجيبة، وبعد أن مرّ بالقرب من جزيرة العذابات غرق عند شاطئ أرض وعد لوقيانوس أن يروي ما حدث له فيها غير أنه لم يف بوعده إلا إذا كانت بقية مؤلفه هذا قد فقدت. أعجب ما في هذه المغامرات إنما هو وصف هذه البلاد الخيالية والتفاصيل التي يرويها عن السكان بدقة غريبة مما يدل على خيال خصب مذهش. لقد كان التاريخ الحقيقي مثلاً

لفينيلون في وصفه جزيرة الملذات ولرابليه في كاركانتويا ولسويفت في رحلات كوليفر.

أسلوب لوقيانوس

لقد قرأ لوقيانوس مراراً وتكراراً مؤلفات كبار الكتاب اليونانيين ولا سيما الأتيكيين منهم في عصر الازدهار حتى أصبح هو نفسه أتيكياً. إنه لم يكتب بلغة عصره بل بلغة أهل القرن الرابع قبل الميلاد، ومع أنه كان مقلداً فقد تميز أسلوبه بالطابع الشخصي. وإن القارئ ليصادف الشيء الكثير من أقوال أفلاطون واستدارات ديموستين وذكريات هيرودوتس ولكن كل ذلك جاء ممزوجاً بشكل يجعل للعبارة جرساً جديداً مستعذباً. لقد حدث مثل هذا للكاتب الفرنسي الشهير أناتول فرانس الذي جاء بعد جمهرة من كبار الكتاب الذين لينوا العبارة وأغنوا اللغة فأنشأ لنفسه أسلوباً يذكر بأسلوب راسين ومونتسكيو وغيرهما دون أن يؤثر ذلك في طابعه الشخصي النادر المثال. إن لوقيانوس لا يتفوق على غيره من الأدباء بجدة الأفكار وعمقها بل بدقة تصويرها وحسن أدائها غير أنه امتاز عن سبقه من كبار المفكرين بخفة روحه وسرعة بديهته وقرب نكته ولذع سخريته. لقد أولع بالدعابة والتهكم وامتازت دعابته بما فيها من طرافة وظرف وتهكمه بما فيه من حكمة وفلسفة. لقد ضحك كثيراً مما كان شائعاً في عصره من خرافات وسخافات نسبت إلى الآلهة، ومن مذاهب الفلاسفة والمتفلسفين ومن أوهام وأباطيل وحقائق السذج من البشر. وليس للوقيانوس طريقة علمية ثابتة ولا مذهب فلسفي خاص يعرف به، ولم يتبع مذهباً معيناً من تلك المذاهب العديدة المعروفة لأنه كان يشك في الفلسفة نفسها كما كان يشك في الدين، وكثيراً ما جعل آلهة الأولمب وكبار الفلاسفة

بل جميع رؤساء المذاهب الفلسفية حتى الشكّاء أنفسهم غرضاً لحملاته المزرية، ولم ينج هو نفسه، كالحطيثة، من لسانه، لقد قال: "لقد كتب هذا لوقيانوس العليم بالأشياء القديمة ورفيق حماقات البشر، لأن من الحماسة حتى ما يبدو للناس أنه حكمة إذ ليس لهم فكرة ثابتة محققة فالذي تعجب به أنت، غيرك يجعله موضوع سخريته". إنما شكّه طريقة تهكمية فهو لا ينفي الاعتقاد بالحقائق الطبيعية غير أنه لا يرى أو لا يريد أن يرى إلا ما يشاهد ويلمس ويحس به، وما عالم الفكر في نظره سوى مسرح الأحلام والخيال، ولا وجود لكل ما لا يقع ضمن نطاق حياتنا وحواسنا إلا في مخيلة الفلاسفة وفي اعتقاد الجماهير الجاهلة السخيف.

إن ثقافة لوقيانوس السفسطائية جعلته منذ بداية أمره يهتم كثيراً بعبارته ليعطيها كل ما تتحمل من مرونة ورونق، واهتمامه هذا حديث جداً إذ كان ينوّع في استعمال ألفاظه وبسهولة تامة لأنه كان أعرف جميع الكتاب اليونانيين بالألفاظ. وبوصفه تلميذاً للسفسطائيين أيضاً فإنه كان يهتم بإعطاء الألفاظ كامل قيمتها بوضعها مواضعها التي يعينها لها. إن عبارته مرتبة ترتيباً ماهراً دون أن تفقد شيئاً من سهولتها غير أنه لا يبحث مثل السفسطائيين عن الكلمات الغريبة أو النادرة الاستعمال. إنه كان يكره كرهاً كبيراً تفخيم العبارة والتكلف وقد امتاز بذوق دقيق خاصة باستعمال اللفظ المطابق الملائم للمعنى وطبيعته. فهو يقلد بصورة مدهشة العبارات التي تستعمل في الأحاديث العادية ويعبر عن الأفكار المجردة بوضوح نير. وسواء أكان جاداً أم هازلاً فإن إنشاءه تتخلله النكات والكلمات اللاذعة وغير المنتظرة. إن سعة اطلاعه توفّر له تلميحات خبيثة واستشهادات مضحكة وتشابيه مقتبسة من الأساطير أو من الحياة العادية. كل

ذلك مختلط اختلاطاً عجيباً بإنشاء زاهي الألوان. يوجد كتاب أقدر منه في النثر ولكن ما من كاتب أفضل وألطف منه نكتة ودعابة.

الطبعات

الطبعة الأولى لمؤلفات لوقيانوس تعود لعام 1496 طبعت في فلورنسا وبعدها طبعة هنستر هويس - رستز، أمستردام، عام 1743 مع ترجمة لاتينية لجزر مصحوبة بتعليقات وشروح. وتلتها طبعة ليزيغ 1822 - 1831 مع ترجمة جزر وطبعة جاكو بيننس، ليزيغ 1836 - 1841، وتلتها طبعات متعددة في ليزيغ وبرلين ولا سيما طبعة نيلس ليزيغ ابتداءً من عام 1906 ولندن مع الترجمة الإنجليزية 1913 وآخرها وأكملها ترجمة إميل شامبري، طبعة كارنييه فريز، باريس، التي ذكر في مقدمتها أنه قابل بين عدة طبعات وصحح ما وقع فيه سلفه من الأخطاء وأنه بذل غاية الجهد لتكون ترجمته أدق من ترجماتهم، وعلى مقدمة هذه الطبعة الأخيرة اعتمدنا بصورة خاصة في ترجمة المؤلف والكلام عن مؤلفاته.

دمشق 20 حزيران/ يونيو 1961

المترجم

الياس سعد غالي

مسامرات الأموات

نالوا قليلاً من اللذات وارتحلوا برغمهم فإذا النعماء بأساء

المعري

الهامسة الأولى

قارون وبلوتون ومينيب وميداس وسردنبال⁽¹⁾

قارون - إننا يا بلوتون لا نطيق جوار هذا الكلب مينيب فأسكنه مكاناً غير هذا أو نرحل نحن إلى موضع آخر.

بلوتون - ولكن أيّ أذى يلحق بكم، وهو ميّت نظيركم؟

قارون - عندما يتذكر ميداس⁽²⁾ ذهبه، وسردنبال ملذاته، وأتذكر أنا أيضاً كنوزي، هذه الأشياء التي تركناها في الأرض نتحسر ونتحجب فيهزأ بنا ويشتمنا، ناعتاً إيانا بالعبيد

(1) سردنبال (Sardavápalos) (Sardanapale): رجل خرافي ضرب به المثل في الخلاعة والتخث لشدّة انغماسه في الملذات وهو غير آشور بانيبال ملك آشور المعروف لدى اليونان بسردنبال (668-626 ق. م.).

(2) ميداس (Midas) (Mídas): رجل مغامر يضرب به المثل في الشجاعة. اكتشف عدة كنوز من فضة وذهب. انتخب ملكاً على فريجيا وهو آخر ملوكها. تروي الأسطورة أن باخوس إله الخمرة أعطاه أن يحول جميع ما يلمس إلى ذهب وأن أبولون صير أذنيه كأذني حمار.

والقذرين. وأحياناً يغني فيفسد علينا نحيينا، وبكلمة إنه لا يطاق.

بلوتون - ماذا يقولون يا مينيبي؟

مينيب - إنها عين الحقيقة يا بلوتون. فأنا أمقت هؤلاء الجبناء الأشقياء الذين ما كفاهم أنهم عاشوا عيشة سيئة بل ما برحوا يتذكرون الملذات الأرضية وهم أموات، وما زالوا شديدي التولع بها. فأنا أسرّ بتكديرهم.

بلوتون - هذا ما يجب ألا يكون. إنهم يحزنون لأنهم حرموا أشياء ليست بسيرة.

مينيب - أجننت أنت أيضاً يا بلوتون حتى توافقهم على انتخابهم؟ بلوتون - كلا، بل أودّ ألا أراكم متخاصمين.

مينيب - اعلّموا جيداً يا أنذل اللبديين والفريجيّين والآشوريّين⁽³⁾ أنني لن أكفّ عنكم، فسأتبعكم حيثما تذهبون لأحزنكم وأسخر منكم.

قارون - يا للإهانة!

مينيب - كلا. إنما الإهانة فيما كنتم تعملون بحملكم الناس على أن يعبدوكم، وفي استخفافكم برجال أحرار ذاهلين كل الدهول عن الموت. فنوحوا الآن يا عافتكم الآلهة لحرمانكم ذلك كله.

قارون - أجل أيتها الآلهة!... لقد خسرنا خيرات كثيرة وعظيمة.

(3) (آشوريّ) نسبة إلى آشور (Assyrien) (Assúpioc): آشور من أعظم الممالك القديمة على ضفتي دجلة. اشتهر الآشوريّون قديماً بعلم الهيئة والطب وشدة البأس والشراسة والخداع والكبرياء وإطلاق العنان للشهوات.

ميداس - حقاً!... لكم خسرت أنا من الذهب.

سردنبال - وأنا!... كم خسرت من الملذات.

مينيب - تحسروا أنتم وانتحبوا. أما أنا فسأردّد كثيراً لكم هذه العبارة "اعرف نفسك"⁽⁴⁾ فهي النشيد اللائق بمثل هذا النحيب.



بلوتون يخطف بير سيففوني⁽⁵⁾

(4) هذه العبارة وجدت منقوشة على هيكل ديلف ونسبت إلى أبولون وخيلون وتايس غير أن سقراط هو الذي ردها كثيراً وصيرها عملية إذ جعل الإنسان موضوع الفلسفة الوحيد.

(5) بير سيففوني (بروزيرين) (Perséphone) (Περσεφόνη): بنت ذيميتير أو سيريس، آلهة الخصب مع أخيها جوبيتير. وهي زوجة بلوتون إله الجحيم.

يجرّون الذبول على المخازي وقد ملئت من الفشّ الجيوب

المعري

الهامسة الثانية

هرميس⁽⁶⁾ وخارون

هرميس - إذا حسن لديك، أيها النوتي، فلنصفّ حسابنا ونرّ
مقدار ما أنت مدين به لي حتى الآن تحاشياً لكل خصام
بشأنه في المستقبل.

خارون - لك ما تشاء يا هرميس، فالأفضل لنا أن نحدّد شيئاً بهذا
الخصوص فذلك لا يسبب لنا إزعاجاً.

هرميس - لقد ابتعت لك، بناءً على طلبك، مرساة بخمسة
دراخمت.

خارون - إنها لغالية الثمن!

(6) هرميس (مركور وعند العرب عطارد) (Hermès) (Ἑρμῆς): ابن زفس وميا.
إله الفجر يبشر بقدوم النور أبولون. وهو رسول الآلهة والوسيط بينهم وبين البشر.

هرميس - أقسم لك ببلوتون أنني اشتريتها بخمسة دراهمات
وابتعت لك أيضاً سيراً للمجذاف بأبولين.

خارون - سجّل خمسة دراهمات وأبولين.

هرميس - وإبرة لأجل خياطة الشراع دفعت ثمنها خمسة
أبولات.

خارون - أضف ثمنها إلى ما سبق.

هرميس - وشمعاً أيضاً لسد شقوق الزورق الصغير ومسامير
وحبالاً قصيراً صنعت منه رباطاً للصاري الأمامي، الجميع
بدراهمين.

خارون - لقد أحسنت، فإنك لم تغبن في شرائها.

هرميس - هذا كل الحساب إلا إذا كنا نسينا شيئاً. ولكن متى
تظن أنك ستدفع لي؟

خارون - لا أستطيع الآن أن أدفع إليك شيئاً يا هرميس. ولكن
إذا بعث إليّ الطاعون عدداً كبيراً من الناس أتمكّن عندئذ
من الدفع لأن دخلي يزداد بسبب كثرتهم وتلاعبي بأجور
النقل.

هرميس - ليس لي الآن إذن إلا أن أنتظر وأتمنّى حلول أكبر
المصائب لأستوفي الدين؟! ...

خارون - لا بد من ذلك يا هرميس، فأنت ترى أنه لا يأتينا إلا

العدد القليل من الناس وذلك لأن السلم مستتبّ.

هرميس - إنني أؤثر ذلك ولو تأخرت عليّ بدفع الدين. ولكن ألا تذكر يا خارون أن الذين كانوا يأتون قديماً كانوا جميعهم أقوىاء الأبدان كثيري الدم وكان أغلبهم مثخنأ بالجراح. وأما اليوم فالعكس، تارة رجل قد دسّ له السم ابنه أو زوجته وطوراً آخر قد نفخ الفحش بطنه أو فخذيه، وكلهم صفر اللون ضعفاء لا يشبهون أولئك في شيء، ويبدو أن الكثيرين منهم لا يأتون إلى هنا إلا لوقوعهم في الأشرار التي ينصبها بعضهم لبعض بغية اقتناص الثروات.

خارون - حقاً إن المال شيء مرغوب فيه جداً.

هرميس - إذن لا أظنني مخطئاً إذا ألححت عليك في طلب حقي.



مكة المبركة

كم صاحب يتمنى لو نعت له وإن تشكيت راعاني وقداني

المعري

الهسارة الثالثة

بلوتون وهرميس

بلوتون - هل تعرف الثري أوكرات⁽¹⁾ ذاك الشيخ الذي بلغ من
الكبر عتياً وليس له ولد غير أن الذين يحاولون اقتناص
ميراثه يبلغ عددهم خمس مرات عشرة آلاف؟...

هرميس - أتعني أوكرات السيكيوني، إنني أعرفه، فما شأنه؟
بلوتون - دعه يعيش يا هرميس، عدا التسعين سنة التي قضاها،
تسعين سنة أخرى وأكثر منها أيضاً إذا كان ذلك ممكناً.

(1) أوكرات (Eucrate) (Εὐκράτης): شخص مجهول أو وهمي.

وأما مملقوه خارينوس⁽²⁾ الصغير ودامون⁽³⁾ والباقون
فاسحبهم إلى هنا الواحد تلو الآخر.
هرميس - إن هذا ليبدو غريباً.

بلوتون - لا بل هو العدل بعينه. ما الذي دهاهم حتى يتمنوا موته
ويطمعوا في ثروته وهم لا يتمنون إليه بصلة؟ وما هو شر
من ذلك كله أنهم يعتنون به، على الأقل أمام عيون الناس،
وهم يتمنون في قلوبهم مثل تلك الأمانى. فإذا مرض فإنهم
ينذرون النذور إلى الآلهة إذا ما أبُل، في حين أن جميع
الناس يعرفون نياتهم الشريرة. وبكلمة إن هؤلاء الرجال
يبرعون في استعمال ضروب التمليق ليجدوا حظوة لديه.
لذلك فليعمر هو طويلاً وليمت هؤلاء قبله بعد أن تشاءبوا
لطول انتظارهم ثروته عبثاً.

هرميس - إن أولئك المداحين يغدون أضحوكة للناس، لأن
صحته، وهو كأنه مشرف على الموت دائماً، لأفضل
بكثير من صحة الشباب، فيتركهم يؤملون آمالاً ويحلمون
أحلاماً بأشياء كثيرة بعد أن اقتسموا بالفكر ثروته فيما
بينهم ممتنين أنفسهم بحياة سعيدة.

بلوتون - ليخلع عنه ثوب الشيخوخة إذن، ومثل ايولاس ليتجدد
شبابه، أما أولئك فلينتزعوا من بين آمالهم في الثروة التي
حلموا بها وليأتوا إلى هنا تعساء بعد موتهم شرّ ميّة.

هرميس - كن مطمئناً يا بلوتون، فسأتيك بهم الواحد بعد الآخر،
إنهم سبعة حسبما أظن.

(2) خارينوس (Charinos) (χαρίνος): شخص مجهول أو وهمي.

(3) دامون (Damon) (Δάμων): اسم شخص وهمي أو مجهول.

بلوتون - جرّهم إذن، أما هو، فإنه سيسير في جنازة كل منهم
مشيَّعاً، وقد تجدد شبابه بعد أن كان شيخاً.



الطائر جوبيتير يطير بكانيמיד⁽⁴⁾ إلى الأولمب

(4) كانيמיד (Ganymède) (Γανυμήδης): ابن توريوس ملك طروادة. كان أنصر الناس شباباً وأجملهم منظرأً. اختاره جوبيتير ليكون ساقى الآلهة فهبط إليه على صورة نسر ودنا منه ناشراً جناحيه كأنه يدعوه إلى الجلوس فوقهما فجلس كانيמיד دون خشية وبطرفة عين طار به جوبيتير النسر نحو الأولمب.

قالوا فلان جيد لصديقه لا يكذبوا ما هي البرية جيد

المعري

الهامسة الرابعة

زينوفانت⁽¹⁾ وكاليديميذ⁽²⁾

زينوفانت - كيف مت أنت يا كاليديميذ؟ إنك تعرف جيداً
أنني هلكت مختنقاً لأنني أكلت أكثر من كفايتي عند دينياس⁽³⁾ الذي
كنت أتطفل عليه. لقد كنت هناك ساعة موتي.

كاليديميذ - أجل كنت حاضراً يا زينوفانت. أما أنا فقصتي
غريبة. هل تعرف بتيوذور العجوز؟

زينوفانت - ذاك الثري العاقر الذي كنت أراك أكثر الأوقات
بصحبتة؟

(1) زينوفانت (Zenophantos) (Ζηνόφαντος): شخص مجهول أو وهمي.

(2) كاليديميذ (Callidémie) (Καλλιδημίδης): شخص وهمي أو مجهول.

(3) دينياس (Dinias) (Δεινίας): اسم شخص وهمي أو مجهول.

كالذي ميذ - هو نفسه، لقد اعتنيت به كثيراً بعد أن وعدني بثروته بعد موته. ولكن لما طال انتظاري وقد عمّر أكثر من تيثون⁽⁴⁾، وجدت طريقاً أقرب للوصول إلى ثروته. فابتعت سمّاً وتواطأت مع الساقى على أن يدسّ له السمّ في كوب مهيباً ويقدمه إليه حالما يطلب منه أن يشرب - وكان يشرب الخمرة غير ممزوجة - وأقسمت للساقى بأنى سأعقته إذا فعل.

زينوفانت - وماذا جرى بعد ذلك؟ فإن قصّتك تبدو غاية في الغرابة!

كالذي ميذ - لمّا رجعنا من الحّمّام كان العبد الصغير يحمل كأسين الواحدة لتيوذور وفيها السمّ والثانية لي. فلا أدري كيف أخطأ فأعطاني الكأس المسمومة وأعطى تتيوذور الثانية الخالية من السم. فشرب بكلطمأنيّة وشربت أنا فسقطت حالاً ميّتاً بدلاً منه. ما بالك تضحك يا زينوفانت؟ حقّاً كان يجب ألا تضحك من صديقك.

زينوفانت - إن ما حل بك لمضحك يا كالذي ميذ. وماذا فعل الشيخ عند ذاك؟

كالذي ميذ - لقد اضطرب بادئ الأمر لهذه المفاجأة، وأظن أنه لما عرف حقيقة ما جرى ضحك هو أيضاً مما فعل الساقى.

زينوفانت - أما أنت فكان يجب عليك ألا تسلك السبيل

(4) تيثون (Tithon) (Τιθωνός): ابن لاوميدون، ملك فريجيا. أحد مؤسسي طروادة. منحته الآلهة أن يعمر طويلاً فعاش حتى تلاشت عناصر جسده ومسخ جرادة.

المختصر. إن الميراث كان سيصل إليك مؤمناً بالطريق الرئيسية
ولو أبطأ قليلاً.



الآلهة أورورا - بنت التيتان والأرض
آلهة الفجر

لا خير للمرء إلا خير أخرة يبقى عليه، فذاك العز والشرف

المعري

الهماسة (الفاسية)

كراتيس⁽¹⁾ وديوجين

كراتيس - هل عرفت يا ديوجين ذلك الثري المفرط الثراء الذي يملك عدداً كبيراً من سفن النقل، ميريوخوس الكورنتي، ابن عم الغني أريستاس⁽²⁾ والذي كان من عادته أن يردد قول هوميروس:

"اصر عني وإلا صرعتك"⁽³⁾

ديوجين - لم هذا السؤال يا كراتيس؟

كراتيس - لقد كان كل منهما يداهن الآخر طمعاً في ميراثه، وهما

(1) كراتيس (Κράτης) (Cratès): فيلسوف يوناني عاش في القرن الرابع قبل الميلاد. كان تلميذاً لديوجين ويتنسب مثله إلى المدرسة الكلبيّة.

(2) أريستاس (Αριστέας) (Aristéas): اسم شخص وهمي أو مجهول.

(3) الألياذة ن 23 ب 724.

متساويان في السن، فسجّلا صكّي وصيتيهما وتبادلاهما علناً، وبموجبهما يستولي من يبقى منهما في قيد الحياة على ثروة من تكون المنية قد عاجلته. ومنذ ذلك الحين أخذاً يتباريان في التمليق والمجاملة، وكان العرافون كأبناء الكلدانيين الذين يتكهّنون عن المستقبل بواسطة النجوم أو تفسير الأحلام، حتى إله ديلف⁽⁴⁾ نفسه، يتنبؤون بأن الرابع سيكون تارة أريستاس وأخرى ميريوخوس، فكانت كفة الميزان ترجح من جهة هذا مرة، ومن جهة ذاك مرة أخرى.

ديوجين - هات النتيجة يا كراتيس فإنها جديرة بأن تسمع.
كراتيس - لقد توفيا في يوم واحد. فبينما كانا مبحرين من سيكيون إلى كيراس⁽⁵⁾ صدمتهما جانباً ريح غربية في منتصف الطريق فأغرقتهما وانتقل مراثهما إلى نسييهما أونوميوس⁽⁶⁾ وثيراسكيليس اللذين لم يخطر لهما قط في بال أن الأمور ستجري هذا المجرى.

ديوجين - لقد أحسنا صنعاً، أما نحن فعندما كنا أحياء لم نفكر قط في أشياء كهذه، فأنا لم أتمنّ موت انتيسينوس لأرث عصاه - وكانت له عصا متينة صنعها بنفسه من شجر الزيتون البري - وأعتقد أنك أنت أيضاً يا كراتيس لم تشتت أن ترث بعد موتي البرميل الذي كنت أملكه وجرابي الذي

(4) ديلف (Delphes) (Δελφοί): مدينة يونانية قديمة كان في معبدها كاهنة سميت بيثونيا تنبأ بالغيّب.

(5) سيكيون (Cicyon) (Κίχων) وكيراس (Kiras) (Κίρα): اسما علم لمكانين.

(6) أونوميوس (Eunomios) (Εὐνόμιος): شخص مجهول أو وهمي.

كان يحوي مقدار ليرتين من الترمس.

كراتيس - لم يكن بي ولا بك أيضاً حاجة إلى مثل هذه الأشياء
ياديوجين. لأن الأشياء الضرورية ورثتها عن إنتشينوس،
وأنا ورثتها عنك، وهي أشرف وأعظم بكثير من مملكة
الفرس.

ديوجين - عمّ تتكلم؟

كراتيس - عن الحكمة والاعتدال والحقيقة والجرأة في الكلام
والحرية.

ديوجين - إي، وزفس، إنني تلقيت هذه الثروة من إنيسشينوس
وأنا تركتها لك بعد أن أنميته.

كراتيس - ما أبه أكثر الناس لثروة كهذه، ولم يمالقنا أحد طمعاً
في أن يرثها عنا، إن الأنظار كلها كانت متجهة إلى الذهب.

ديوجين - طبعاً، إذ كيف يمكنهم الاحتفاظ بتراث كهذا لو تركناه
لهم، هم الذين نخرتهم الرخاوة فأصبحوا كالصناديق
المسوسة، وما شأن من يودعهم الجرأة في الكلام أو
حب الحقيقة أو الحكمة فتسيل منهم في الحال وتضيع
إلا كشأن بنات داناوس⁽⁷⁾ اللواتي تعذبن في ملء برميل
بلا قعر، ولكنهم كانوا يحافظون على الذهب بأسنانهم
وأظافرهم وبكل الوسائل الأخرى.

كراتيس - ولهذا نحن لا نزال نملك هنا ثروتنا. أما هم فإنهم لا

(7) داناوس (بنات داناوس) (Δαναός): خمسون أختاً حكم على
49 منهن في الدنيا بالقتل لقتلهن بني عمهن التسعة والأربعين وفي الأخرى
بإملاء برميل بلا قعر دون انقطاع.

يستصحبون عندما يأتون سوى أبول⁽⁸⁾ واحد، وهذا الأبول ذاته يجب أن يتركوه للنوتي.



الملك أبول يحبس بأمر جوبيتير⁽⁹⁾ الرياح والعواصف في كهف

(8) الأبول (Ὀβελός): سدس الدراخم والدراخم هو الوحدة النقدية عند اليونان والمنا يعادل مئة دراخم. لقد اعتاد قدماء اليونان أن يضعوا في قم الميت أبولاً أجرة نقله إلى عالم الآخرة اعتقاداً منهم أن خارون نوتي الجحيم كان يأخذ هذا الأبول نولاً له.

(9) جوبيتير (وزفس وزيوس وزوس) (Ζεύς) (Jupiter): ابن ساتون وريا. ساعد أباه في حرب التيتان وسحقهم. طرد أباه الذي نصب له الأشرار خشية سطوته من السماء والأرض. حارب أبناء الأرض ذوي الأذنان الأفغوانية وقهرهم. أرسل صاعقة على تيفون أودت به إلى الترتاروس مقر العذاب. وكان تيفون ذارأس ينطح النجوم ويدين تضمام أطراف السماء يخرج منهما مئة رأس أفعى، وذا فخذين يخرج منهما ألف ثعبان، يكسو الريش جسده. أصبح جوبيتير بعد أن تغلب على أعدائه سيد الأولمب ورب الأرباب. سلط نبتون على البحر وبلوتون على الجحيم واحتفظ لنفسه بالسماء. اشتهر بمغامراته الغرامية.

جاران، ملك ومحتاج أتى زمن عليهما فتساوى البؤس والترف

المعري

الهماسة السادسة

مينيب⁽¹⁾ وهرميس

مينيب - أين الجميلون والجميلات يا هرميس؟ كن دليلي
لأنني حديث العهد هنا!

هرميس - ليس لدي متسع من الوقت يا مينيب ولكن انظر
إلى الجهة اليمنى فهناك أياسنت⁽²⁾ ونركيسوس⁽³⁾ ونيريوس

(1) مينيب (Μένιππος) (Ménippe): شاعر وفيلسوف يوناني. فينيقي الأصل. كان رقيقاً فافتدى نفسه بثروة جمعها. عاش في الجيل الثالث ق. م. هو من المدرسة الكلية. وصف كما وصف هو نفسه بالكلب. يقال إنه نظم قصائد في هجاء البشر.

(2) أياسنت اللاكيزيموني (Ύακινθος) (Hyacinthe): ابن بيروس وكليو. اشتهر بجماله حتى أن أبولون والزيفير تعشقا.

(3) نركيسوس (Νάρκισσος) (Narcisse): ابن إله النهر =

وآخيل⁽⁴⁾ وتيرو وهيلانة⁽⁵⁾ وليدا⁽⁶⁾، وباختصار كل الذين اشتهروا
بجمالهم في الأعصر الغابرة.

مينيب - إنني لا أرى غير عظام مجردة من اللحم وأكثرها
متشابه.

هرميس - ومع ذلك فإن هذه العظام التي تزديرها أنت على
ما يبدو هي التي أعجب بها جميع الشعراء.

مينيب - أرني هيلانة على كل حال، لأنني لا أستطيع أنا أن
أميزها من سواها.

هرميس - هذه الجمجمة هي هيلانة!

مينيب - إذن، لأجل هذه الجمجمة جهزت اليونان ألف

= كيفيسوس وعروس بحرية. جلس مرة بالقرب من عين ماء فشاهد صورته في
الماء فأحبها حباً جنونياً وأقام يطيل النظر إلى صورته ذاهلاً مسحوراً بجمالها
حتى نحل تحولاً أحاله إلى زهرة سميت باسمه وهي النرجسة.

(4) آخيل (Achille) (Ἀχιλλεύς): ابن بيليوس ملك الفيويد وثيتيس الآلهة.
رباه وثقفه القنطروس خيرون الذي غذاه بمخاخ الخنازير والدببة وأحشاء
الأسود وعلمه القنص وممارسة الفضيلة فنشأ خير منشأ. وهو أوسع أبطال
اليونان شهرة وأعظمهم قوة. اشتهر في حرب طروادة وقتله لبطلها هيكتور.
خلد هوميروس اسميهما في ألياذته الشهيرة. قتله باريس بسهم مسموم.

(5) هيلانة (Hélène) (Ἑλένη): بنت زفس وليدا. زوجة مينيلاس ملك
إسبارطة. كانت بارعة الجمال هرب بها باريس الجميل ابن بريام ملك طروادة
فنشبت بسببها حرب طروادة الطاحنة.

(6) ليذا (Léda) (Λήδα): بنت ثستيس وزوجة تونداريوس ملك إسبارطة
استولدها زفس بولوكس وكاستور.

سفينة وهلك ذلك العديد الأجل من اليونانيين والبربر ودمّرت
مدن كثيرة برمتها.

هرميس - إنك لو رأيت يا مينيب هذه المرأة، وهي في قيد
الحياة، لقلت أنت أيضاً: "ليس بالأمر المؤسف أن يعاني المرء
الآلام زمناً طويلاً في سبيل امرأة لها هذا الجمال"⁽⁷⁾. لقد كانت
زهرة نضرة عظيمة الجمال زاهية اللون، واليوم هي في عين من
يراهها زهرة ذائبة لا لون لها ولا جمال.

مينيب - إن اليونانيين لم يدركوا أن تعبهم كان في سبيل أمر
سريع الزوال ويزدوى بسهولة، وهذا ما يثير دهشتي يا هرميس.

هرميس - ليس لديّ متسع من الوقت يا مينيب لأبحث معك
مسائل فلسفية ففتش لنفسك، حيث شئت، عن مكان تستريح فيه
فأنا ذاهب لأدخل الأموات الآخرين!

(7) الألياذة ن 3 ب 157.



نركيسوس يعشق صورته في الماء

سُبِّتَ بالكلب فاتكرته والكلب خير منك إذ ينبح

المعري

الهامسة السابعة

مينيب وكرفيروس

مينيب - أنا نسيك يا كرفيروس، لأنني أنا أيضاً كلب⁽¹⁾،
نشدتك باسم الستيكس أن تخبرني كيف كان منظر سقراط لما
نزل إلى هنا، لأنك بصفة كونك إلهاً فمن الطبيعي أنك تستطيع أن
تنبح وأن تتكلم أيضاً كإنسان عند ما تريد؟

كرفيروس - في الحقيقة يا مينيب إن ملامحه وهو آتٍ
نحونا لم تتبدل. لقد تظاهر بأنه رضي بالموت طوعاً. وهذا ما
أراد أن يظهره للذين ظلوا عند مدخل الهاوية ولكنه لما نظر إلى
أسفل، إلى داخل الهاوية، ورأى الظلمة بدا عليه الخوف والتردد

(1) كلب (كَلْبِيّ وكَلْبِيّون والمدرسة الكَلْبِيّة): في قول مينيب لكرفيروس "أنا نسيك بل أنا كلب" إشارة إلى أخلاق الفلاسفة الكَلْبِيّين الذين نسبوا إلى الكلب. وفي قول كرفيروس لمينيب (إنك دخلت الجحيم بصورة خليفة بأصلك" أي (الكَلْبِيّ) مديح وإطراء.

فعضضته أنا بالشوكران⁽²⁾، وسحبته من رجله فلم يأل جهداً للخلاص وأخذ يبكي على أطفاله ويصرخ كالصغار.

مينيب - ما كان الرجل إلا سفسطائياً ولم يحتقر الموت في الحقيقة.

كرفيروس - كلا، ولكنه لما لم ير من الموت بدأ تظاهر بالجرأة كأنه يقاسي برضاه ما كان محتتماً عليه أن يقاسي حتى يعجب به الحاضرون. وبكلمة يمكنني أن أقول مثل ذلك عن جميع أمثاله الذين يظلّون حتى عتبة الهاوية رابطي الجأش شجعاناً ولكنهم عندما يلجونها تبدو عليهم أمارات الخوف واضحة.

مينيب - وأنا كيف رأيتني عندما نزلت إلى هنا؟

كرفيروس - أنت وحدك يا مينيب وديوجين قبلك دخلتما بصورة خليقة بأصلكما غير مدفوعين ولا مكرهين بل راضيين صاحكين ساخرين من أحزان الآخرين.

(2) شوكران (Κῶνειρος) (Ciguë): نبات سام أو هو السم المستخرج منه، والكلمة من الدخيل.



بلوتون إله الجحيم وكرفيروس حارسها

والفقر أحمد من مال تبذره إن اهتمارك مأمون به السرف

المعري

الهامسة الثالثة

خارون ومينيب وهرميس

خارون - ادفع لي أجر نقلك أيها اللعين!

مينيب - اصرخ يا خارون ما طاب لك الصراخ!

خارون - أقول لك ادفع لي أجرة عذايي بنقلك.

مينيب - ما أظنك تستطيع أن تقبض شيئاً ممن لا يملك شيئاً.

خارون - أيوجد إنسان واحد لا يحمل أبولاً؟

مينيب - في الحقيقة إنني لا أدري إذا كان يوجد أحد سواي لا يحمل أبولاً أما أنا فلا أحمل.

خارون - إني لخانقك، أي وبلوتون، إن لم تدفع لي أيها
النذل!

مينيب - وأنا بضربة عصا سأحطم رأسك!

خارون - أتجتاز إذن هذه المسافة الطويلة بدون عوض؟

مينيب - ليدفع لك هرميس عني فهو الذي أسلمني إليك.

هرميس - إي وزفس، أيّ فائدة أجني إذا اضطررت إلى
الدفع عن الأموات!

خارون - لن أدعك تذهب!

مينيب - إذن أخرج قاربك إلى اليابسة وانتظر، بالأحرى
كيف يمكنك أن تأخذ مني ما ليس معي؟

خارون - ولكن أما كنت تعلم أن من الضروري أن تأتي
ومعك أبول؟

مينيب - كنت أعلم وما كنت أملك أبولاً فماذا إذن؟ أكان
من الواجب ألا أموت بسبب ذلك؟

خارون - إذن أنت وحدك ستفتخر بأنك عبرت مجاناً؟

مينيب - لا تقل مجاناً أيها الطيب فقد أفرغت ماء الغنطاس،
وجذفت معك، وأنا وحدي دون سائر الركاب لم أبك.

خارون - لا علاقة لكل هذا بأجرة النقل، لا بدّ أن تدفع
الأبول.

مينيب - أعدني إلى الحياة إذن مرة أخرى!

خارون - ما أصوبه رأياً، إنّ إياكوس⁽¹⁾ يوسعني ضرباً إن فعلت.

مينيب - لا تزعجني إذن!

خارون - أرني ما في جرابك؟

مينيب - ترمس، إذا شئت، وعشاء هيكاتي⁽²⁾.

خارون - من أين أتيت لنا بهذا الكلب يا هرميس، لقد ثرثر الطريق كله وسخر من جميع الركاب، لقد كان وحده يغني بينما كان الآخرون ينوحون.

هرميس - أتجهل يا خارون أي رجل نقلت في قاربك، إنه رجل حر بكل معنى الكلمة، لا يبالي بأحد، هذا مينيب.

خارون - آه لو أمسكك مرة ثانية!

مينيب - لو تمسكني مرة ثانية؟ ... اعلم يا صديقي أنه محال حيث لا مرة ثانية.

(1) إياكوس (Eaque) (Αἰακός): ابن جوبيتير وأوروبا. حكم جزيرة إيجين بعدل ورحمة حباه إلى الآلهة. رزق ثلاثة أولاد بيليوس وتيلامون وفوكيس.

(2) هيكاتي (Hécate) (Ἑκάτη): ربة غامضة. أقامت في العالم السفلي على خدمة بيرسيفوني. لها قدرة على إرسال الأحلام والأشباح وأرواح الموتى وكانت تتجول معها ولذا سميت ربة الأشباح.



بسيخي في قارب خارون

والخلد في الدهر لا يجوز

يجوز أن تبطئ المنايا

المعري

الهسارة التاسعة

بلوتون وبروتيسيلوس وبيرسيفوني

بروتيسيلوس - يا مولانا وملكننا، يا زفسنا، وأنت يا ابنة
ذيميتير⁽¹⁾ لا تعرضا عن طلب عاشق.

بلوتون - ماذا تطلب منا، ومن أنت؟

بروتيسيلوس - أنا بروتيسيلوس بن أفكيلوس⁽²⁾ من فيلاكيا⁽³⁾،
أحد اليونانيين الذين ذهبوا إلى إيليون وأول من هلك

(1) ذيميتير (وكيريس) (Δημήτηρ) (Déméter): بنت ساتورن وريا، ربة الزرع
والخصب. ابنها بلوتس إله الثروة وابنتها بيرسيفوني آلهة الجحيم.

(2) أفكيلوس (Iphiklos) (Ἰφικλός): والد بروتيسيلوس اشتهر بسرعة العدو
حتى فوق الماء.

(3) فيلاكيا (φυλακία) (Phylakia): اسم مدينة.

منهم، ألتمس السماح لي بأن أعود إلى الحياة زمناً يسيراً.

بلوتون - جميع الأموات يشتهون ما تشتهي يا بروتيسيلوس ولكن لن يحصل واحد منهم على نعمة كهذه.

بروتيسيلوس - ما أنا مولع بالحياة يا بلوتون بل بالمرأة التي فارقتها صباح زفافنا وأبحرت بعيداً منها، وما كادت قدمي تطأ الثرى حتى هاجمني هيكتور⁽⁴⁾ وقتلني أنا المسكين. فحب امرأتي أيها المولى هو الذي يمزق أحشائي تمزيقاً، فأريد أن تراني ولو وقتاً قصيراً ثم أنزل إلى هنا.

بلوتون - أما شربت ماء ليثي⁽⁵⁾ يا بروتيسيلوس؟!!

بروتيسيلوس - بلى أيها المولى ولكن ما أعانيه من الحب لا يطاق.

بلوتون - انتظر قليلاً إذن، فلا بد لها أن تأتي يوماً ولا لزوم لصعودك أنت.

بروتيسيلوس - لا أستطيع الانتظار يا بلوتون، لقد أحبيت أنت أيضاً وتعرف ما الحب؟

بلوتون - ماذا تنفعل حياة يوم واحد إذا كنت بعد قليل ستعود إلى التحسر على هذه الأشياء نفسها؟

(4) هيكتور (هيكتر) (Hector) (Έκτωρ): ابن بريام ملك طروادة، أشجع وأشهر أبطالها. قتله آخيل.

(5) ليثي (Léthé) (Λήθη): نهر من أنهر الجحيم إذا شربت منه الأرواح نسيت ماضيها نسياناً تاماً واسمه يدل عليه فكلمة ليثي اليونانية معناها النسيان.

بروتيسيلالوس - آمل أن أقنعها بأن تصحبني إلى هنا وهكذا
تستقبل أنت بعد حين ميتين بدلاً من ميت واحد.

بلوتون - لا يجوز أن تحدث أمور كهذه لم يسبق لها مثيل.

بروتيسيلالوس - أذكرك يا بلوتون بأنك لسبب كهذا أرجعت
إفريديكي إلى أورفيوس⁽⁶⁾ وأطلقت الكيستي⁽⁷⁾ وهي من
عشيرتي إرضاءً لهرقل.

بلوتون - أتريد أن تظهر لزوجتك الجميلة وأنت جمجمة
مجردة من اللحم والجمال، وهي كيف تستقبلك؟ إنها لن تعرفك
بل لا شك أنها ستخاف عند رؤيتك وستهرب منك، وهكذا تكون
قد قطعت كل هذه المسافة سدى.

بيرسيفوني - هذا ما يجب أن تتلافاه يا زوجي فتأمر هرميس
أن يلمس بعصاه بروتيسيلالوس حالما يرى النور وأن يعيده شاباً
جميلاً كما كان عند خروجه من سرير عرسه.

بلوتون - ما دام أن بيرسيفوني وافقت على ذلك، أصعده يا
هرميس وأرجعه عروساً شاباً كما كان. ولكن أنت تذكر أنه ليس
لك إلا يوم واحد.

(6) أورفيوس (أورفوس) (Ὀρφεύς) (Orphée): شاعر وموسيقي سحر
بنغماته حتى كيرفيروس. حاول استرجاع روح زوجته من الجحيم.

(7) الكيستي (Ἀλχέστις) (Alceste): زوجة ملك تساليا ادميت الذي مرض
وتنبأ له بأنه لن يشفى ما لم يفتده أحد بنفسه فافتدته زوجته الكيستي، وعلم
هرقل بالأمر فهبط إلى الجحيم واسترد منه بالقوة روح الكيستي وأعادها إلى
زوجها مكافأة لها على تضحياتها.



أورفيوس في الجحيم

أرادوا بها جمع الحطام فأدركوا وبادوا وماتت سنة اللؤماء

المعري

الأسيرة العاشرة

كنيمون⁽¹⁾ وذامنيب⁽²⁾

كنيمون – لقد صدق المثل القائل: الخشف أكل الأسد.

ذامنيب – ما الذي يغضبك يا كنيمون؟

كنيمون – أتسألني عما يغضبني؟ فذاك لأنني خدعت ف وقعت
في حبال رجل جعلته بالكره مني وارثاً لي وأهملت الذين كنت
أود أن أترك لهم ثروتي.

ذامنيب – كيف جرى ذلك؟

(1) كنيمون (Κυήμων) (Cnémon): شخص مجهول أو وهمي.

(2) ذامنيب (Δάμνιππος) (Damnippe): اسم شخص وهمي أو مجهول.

كنيمون - لقد كنت أتملّق الثريّ العاقر هيرمولاوس⁽³⁾
مرتقباً موته، وكان هو يتقبل تملقي راضياً. ففكرت أني أحسن
صنعاً إذا كتبت وصيتي علانية وتركته له بموجبها ثروتي كلها،
وقد فعلت، ظناً مني أنه يحذو حذوي بدافع الغيرة.

ذامنيب - وماذا صنع؟

كنيمون - لا أدري ما كتب في وصيته. أما أنا فمت فجأة
إذ سقط السقف عليّ فاستولى على ثروتي كذئب بحري ابتلع
الشصّ والطعم معاً.

ذامنيب - ليس هذا فحسب، بل الصياد أيضاً، لأنك نصبت
له فخاً فوقعت فيه.

كنيمون - الأمر كذلك، ولهذا أنا أتحرّر.

(3) هيرمولاوس (Hermolaos) (Ἑρμόλαος): شخص وهمي أو مجهول.



القنطروس نيسون يخطف ديانيرا⁽⁴⁾

(4) ديانيرا (Δηϊάνειρα) (Déjanire): بنت ملك كاليدون وزوجة هرقل.

وجدت الناس مَيِّتاً مثل حيٍّ بحسن الذكر أو حياً كَمَيِّت

المعري

الأسيرة الهادئة عشرة

ديوجين وموزول

ديوجين - لماذا تزهو علينا وتتكبر أيها الكاري وتعدّ نفسك
أفضل منا جميعاً؟

موزول - لأنني كنت ملكاً، أيها السينوبي⁽¹⁾، وكنت جميلاً
وعظيماً وقوياً في الحروب. ملكت كاري⁽²⁾ كلها وافتتحت قسماً

(1) سينوبي (Sinope) (Σινωπεύς): نسبة إلى سينوب المدينة الواقعة في آسيا الصغرى على البحر الأسود، موطن ديوجين.

(2) كاري (Carien) (Κάρ): نسبة إلى كاري وهي الجزء الجنوبي الغربي من آسيا الصغرى شمال رودس. من أهم مدنها هاليكارناس.

من ليديا⁽³⁾ والقسم الأكبر من إيونيا حتى ميليتوس⁽⁴⁾ واستوليت على بعض الجزر، والأعظم من ذلك أن لي في هاليكارناس قبراً فخماً ليس لميت سواي نظير له، لا بصنعه الجميل ولا بخيله ورجله المنقورة بكل دقة في أجمل حجارة، وهيهات أن يوجد هيكل يضارعه، أفلا ترى أنني على حق في تكبري؟...

ديوجين - أتقول إن ملكك وجمالك ووزن قبرك سبب تكبرك؟

موزول - أجل وجوبيتير، إن هذه الأشياء هي السبب.

ديوجين - ولكن ليس لك الآن يا موزول⁽⁵⁾ الجميل تلك القوة ولا ذاك الجمال، فلو اخترنا حكماً بشأن الجمال فإني لا أعرف سبباً يحدوه على تفضيل جمجمتك على جمجمتي، فكلتاها مجردتان من الشعر واللحم، وكلانا بيدي أسنانه وقد فقد عينيه وصار أفتس الأنف أخنس، أما من جهة القبر وحجارته الغالية الثمن فقد تكون لأهل هاليكارناس مدعاة زهو وفخر عندما يرونها للغرباء لأن البناء فخم حقاً، أما بالنسبة إليك يا صاح فإني لا أعلم ما فائدتك منه إلا إذا قلت إنك تمتاز عنا بحملك هذا العبء الثقيل من الحجارة الضخمة.

(3) ليديا (Ληδία) (Lydie): مقاطعة في آسيا الصغرى شمال كاريا والنسبة إليها ليدى.

(4) ميليتوس (Μίλητος) (Milet): مرفأ على بحر إيجه كان يوماً حاضرة الفلاسفة. موطن تاليس واسخين واريستيد.

(5) موزول (Μαυσωλος) (Mausole): ملك كاريا من عام 377 - 353 ق.م. شيدت له زوجته وأخته أرتيميس في أعظم مدن كاريا هاليكارناس قبراً فخماً عد من عجائب الدنيا السبع. كثيراً ما صورت أرتيميس مثلاً للأمانة الزوجية.

موزول - أتكون إذن هذه الأشياء كلها عديمة الفائدة لي
ويكون موزول مساوياً لديوجين؟

ديوجين - كلا، يا جزيل الشرف، لن تكون مساوياً لي، فإن
موزول سوف يتحسر كلما يتذكر الأشياء الأرضية التي كان يظن
أن فيها سعادته، وسيتحدث عن قبره في هاليكارناس الذي شيّدته
له أرتميس، أخته وزوجته، أما ديوجين فإنه سيهزأ به، وهو لا
يدري إذا كان جسده ضمه قبر، وما اهتمّ بذلك قط، ولكنه عاش
كرجل رجل فترك لصفوة القوم ما يذكرونه به وهو أسمى وأرسخ
من قبرك يا أنذل الكارئين!



السيرينيس تحاول فتن البحارة

أفضل من أفضلهم صخرة لا تظلم الناس ولا تكذب

المعري

الهماسة (الثانية) عشرة

أياس⁽¹⁾ وأغاميمنون⁽²⁾

أغاميمنون - لماذا تتهم أوليس يا أياس إذا كنت أنت جننت
فقتلت نفسك وكدت تقتلنا جميعاً؟ ثم لماذا لم تتنازل فتلقي إليه
نظرة عندما جاء ليستفتي الآلهة، ولم توجه إليه كلمة وهو رفيقك
في السلاح وصديقك بل حوّلت نظرك عنه كمن ينظر إلى بعيد
ومررت مسرعاً؟...

أياس - إني على حقّ فيما فعلت يا أغاميمنون لأنه وحده

(1) أياس (أجاكس) (Aἴας) (Ajax): أحد كبار قادة اليونان في حرب طروادة
وأشجع أبطالهم وأشهرهم بعد أخيل. انتحر بعد أن تغلب عليه أوليس بشأن
سلاح أخيل.

(2) أغاميمنون (Ἀγαμέμνων) (Agamemnon): ملك ميسينا وأرغوس
وقائد اليونانيين في حرب طروادة.

عارضني ونازعني السلاح⁽³⁾ فسبّب جنوني.

أغاميمنون - ألعلك كنت تحسب أن لا خصم لك وأنتك
تستولي على السلاح بدون منازعة؟

أياس - أجل، مثل ذلك حسبت فقد كانت هذه الأسلحة من
حقي لأنها كانت لابن عمي⁽⁴⁾. فأنتم مع أنكم أفضل منه بكثير لم
تنازعوني إياها وتركتموها لي. أما ابن لايرتس الذي أنقذته مراراً
من أيدي الفريجيّين الذين كادوا يقطّعونه إرباً إرباً فقد ظن نفسه
أفضل مني وأحقّ بحمل هذا السلاح.

أغاميمنون - يجب عليك أيها النبيل أن تنقم على الإلهة
ثيتيس⁽⁵⁾ التي كان عليها أن تسلمك الإرث بصفة كونك نسيباً بدلاً
من أن تضعه تحت تصرف الجميع.

أياس - كلا، إن أوليس وحده نازعني إياه.

أغاميمنون - يجب أن تعذره يا أياس لأنه بوصفه إنساناً
أحب المجد، والمجد أمر عذب؛ تحمّلنا جميعاً المخاطر في
سبيله؛ لا سيما وقد تغلب عليك بشهادة الطرواديين أنفسهم.

أياس - أنا أعرف التي عاقبتني، ولكن لا يجوز أن نقول

(3) السلاح (Armes) ("opla): سلاح آخيل الذي تخاصم بشأنه أوليس وأياس.

(4) تيلامون والد أياس وبيليوس والد آخيل شقيقان.

(5) ثيتيس (Θέτις) (Thétis): ابنة الإله البحري نيرئوس. زوجها جوبيتير لبيليوس الذي ولدت منه آخيل العظيم.

شيئاً بحق الآلهة. فلا يسعني يا أغاميمنون إلا أن أبغض أوليس
حتى لو أمرتني أثينا نفسها بآلا أبغضه.



الإله فولكان يصنع السلاح لآخيل تلبية لرجاء ثيتيس

إذا شقيت فجسم ناله نصب وان ترهت فماذا ينفع الترف؟

المعري

المسألة الثالثة عشرة

مينيب وتانتالوس

مينيب - لم تنتحب يا تانتالوس⁽¹⁾، أو لماذا تندب نفسك

وأنت قائم وسط البحيرة؟

تانتالوس - لأنني أكاد أهلك عطشاً يا مينيب.

مينيب - هلاً تنحني قليلاً فتشرب أم أن الخمول قد بلغ بك،

قسماً بزفس، حداً يمنعك من أن تقعر يدك وتغترف بها

الماء؟...

(1) تانتال (تانتالوس) (Tantale) (Τάνταλος): ملك ليديا. كان غنياً وعظيماً، من نسل جوبيتر، قبل فيما بين الآلهة فباح بأسرارهم. أراد أن يختبر الآلهة فأطعمهم لحم ابنه فعاقبه جوبيتر بالجوع والعطش وإلقائه في دركات الجحيم وسط غدير ماء يرتفع ماؤه حتى شفة تانتالوس السفلى لكنه يهبط كلما حاول أن يشرب، وتحت أغصان عليها ثمر يرتفع كلما حاول تانتال قطفه.

تانتالوس - عبثاً أنحني فالماء يهرب مني حالما يشعر باقترابي منه وإذا اغترفت صدفة بيدي وأدنيتهما من فمي لأبلّ طرف شفتي فسرعان ما يفرّ الماء من فروج أصابعي ولا أدري كيف تعود يدي إلى سابق نشافها.

مينيب - إن عذابك أمر عجيب يا تانتالوس، ولكن قل لي أبحاجة أنت إلى الشرب ولا جسد لك؟ إن جسدك المدفون في بقعة من أرض ليديا هو وحده كان يمكنه أن يعطش ويجوع. أما أنت، وما أنت الآن إلا روح، فكيف يمكنك أن تعطش أو تجوع؟

تانتالوس - هذا هو عقابي، فإن روحي تعطش كما لو كانت جسداً.

مينيب - لقد صدّقنا بأن العطش عقابك، لأنك أنت تقول ذلك، ولكن لماذا يفزعك العطش إلى هذا الحد؟ أتخشى أن تموت إذا لم تشرب؟... فأنا لا أرى جحيماً بعد هذا الجحيم ولا موتاً آخر يودي بك إلى غير هذا المكان.

تانتالوس - صدقت. غير أن رغبتني في الشرب، ولا حاجة بي إليه، هي أيضاً جزء من عقابي.

مينيب - إنك تهذي يا تانتالوس، ويظهر أنك في الحقيقة بحاجة إلى الشرب ولكن، وحق زفس، إلى شرب الخربق الصافي، لأنك لا تخشى الماء بل العطش، خلافاً لمن عضتهم كلاب كلبة.

تانتالوس - آتني لي الخربق يا مينيب، فإني لا أرفض شربه.

مينيب - صبراً يا تانتالوس، واعلم جيداً أنك لن تشرب أنت ولا

أحد غيرك من الأموات يشرب، فذلك مستحيل، مع العلم
أنه لم يحكم على الجميع مثلك بأن يعطشوا ويروا الماء
يفرّ أمامهم.



نيوبي⁽²⁾ تحاول أن تحمي ابنتها من سهام ديانا

(2) نيوبي (Niobé) (Νιόβη): بنت تانتالوس وديوني وزوجة ملك طيبة رزقت سبعة بنين وسبع بنات فاعتزت بنفسها وفاخرت بأولادها ليتو، والدة أبولون وأرتيميس، فغضبت ليتو وطلبت من ولديها أن ينتقما لها فانتهزا فرصة وأطلقا السهام على أبناء نيوبي فقتلوا عليهم. ولما رأت نيوبي جثث أولادها جمدت في مكانها، فأشفق الآلهة عليها فحولتها إلى صخرة يسيل منها الماء ليلاً ونهاراً رمزاً لدموعها وألمها الأبدي.

هلا تطلبين من عند يوم وليلة خلاف الذي مرّت به السنوات

المعري

الهسارة (الرابعة) عشرة

مينيب وخيرون⁽¹⁾

مينيب - لقد سمعت أنك رغبت في الموت يا خيرون، مع أنك
إله.

خيرون - صحيح ما سمعت يا مينيب وها أنا ميّت كما ترى،
وكان بوسعي أن أكون خالداً.

مينيب - ولكن ما حبّب الموت إليك، وهو البغيض إلى أكثر
الناس؟

خيرون - سأقول لك السبب لأنك لست خالياً من الذكاء: لأنني
فقدت كل لذة في التمتع بالخلود.

(1) نهر الحزن في العالم السفلي مياهه موحلة مزبدة حارة تحتشد أرواح
الموتى على ضفته بانتظار خارون لينقلها.

مينيب - أما كانت تلذّ لك مشاهدة النور وأنت حيّ؟

خيرون - كلا يا مينيب، فأنا أرى اللذة في التنوع والتغير وكنت أعيش دائماً وأتمتع بأشياء متشابهة: بالشمس والنور والغذاء حتى الفصول نفسها والأشياء كلها كانت تتعاقب متوالية فسئمتها. والسعادة التامة لا تكون في التمتع بشيء لا يتبدّل أبداً بل في التغير المستمرّ.

مينيب - حقّ ما تقول يا خيرون، وكيف وجدت المقام في الهاوية التي آثرتها مذ أتيت إليها؟

خيرون - ليس بلا لذة يا مينيب. فهنا المساواة في الاعتبار شعبية جداً، ولا فرق بين أن تكون الحياة في النور أو في الظلمة. ثم إننا هنا لا نعطش ولا نجوع كما كنّا في العليا، فنحن في غنى عن كل هذه الأشياء.

مينيب - احذر يا خيرون أن تناقض نفسك فتعود بحديثك إلى النقطة التي بدأتها منها.

خيرون - وكيف ذلك؟

مينيب - إذا كانت الأشياء ذاتها والمتشابهة في الحياة هي التي أسأمتك، فالأشياء التي هنا، وهي متشابهة قد تسأمك أيضاً وتضطرك إلى التفتيش عن واسطة تنتقل بها من هنا إلى حياة أخرى، وهذا في اعتقادي مستحيل.

خيرون - ما العمل إذن يا مينيب؟

مينيب - في رأيي، خير ما تعمل أن تتبع قول العامة أي أن الرجل
العاقل هو الذي يسرّ بالأشياء الحاضرة ويعتقد أن لا شيء
منها لا يطاق...



هرقل يتغلب على القنطروس

ما فيهم بز ولا ناسك إلا إلى نفع له يجذب

المعري

المسامرة الخامسة عشرة

ديوجين والإسكندر

ديوجين - ما هذا أيها الإسكندر، أمت أنت أيضاً مثلنا؟

الإسكندر - كما ترى، ولا عجب إذا أنا مت يا ديوجين، فما أنا
إلا بشر.

ديوجين - إذن لقد كذب آمون⁽¹⁾ في قوله إنك ابنه. ولكن أبنُ
فيليبس⁽²⁾ أنت؟

(1) آمون (Ἀμμων) (Ammon): اسم للشمس وهو إله المصريين الأقدمين. وهو نفسه زفس اليونان وجوبيتر الرومان والمشتري عند العرب. (آمونيون المنسوبون إلى آمون).

(2) فيليبس (Φίλιππος) (Philippe): ملك مقدونيا ووالد الإسكندر الكبير. أخضع بلاد اليونان لسلطته. مات قتلاً (336 ق. م.).

الإسكندر - لا شك في أنني ابن فيليس، فلو كنت ابن آمون لما
مت.

ديوجين - ولكن أشيع ما يشبه ذلك عن أمك أوليمبياس⁽³⁾ فقيل
إنها كانت على اتصال بتنين شوهد في مضجعها، وإنهما
أنجبا بك، فما كان فيليس إلا على ضلال في اعتقاده أنه
أبوك.

الإسكندر - لقد سمعت أنا ما سمعت أنت، والآن أرى أن أمي
والأنبياء الآمونيّين كانوا كاذبين.

ديوجين - غير أن كذبهم، أيها الإسكندر، ما كان عديم الفائدة
لك في تحقيق أهدافك، إذ إن الكثيرين ظنوك إلهاً فقبعوا
مذعورين. لكن قل لي لمن تركت إمبراطوريتك الشاسعة؟

الإسكندر - لست أدري يا ديوجين لأن المنية أدركتني قبل أن
أوصي بشأنها. غير أنني سلّمت خاتمي ساعة احتضاري
إلى بيرديكاس⁽⁴⁾... ما الذي يضحك يا ديوجين؟

ديوجين - لا شيء سوى أنني تذكرت ما صنع اليونانيون لتخليقك
يوم تسلمك السلطة. لقد أعلنوا زعامتك عليهم وعينوك
قائداً لهم ضد البربر حتى إن البعض منهم جعلوك في

(3) أوليمبياس (Olympias) (Ὀλυνπιάς): زوجة فيليس ملك مقدونيا
ووالدة الإسكندر الكبير.

(4) بيرديكاس (Perdiccas) (Περδίκκας): أحد قواد الإسكندر الكبير الذي
عينه خلفاً له. قتله بطليموس في مصر.

مصافّ عظماء الآلهة الاثني عشر⁽⁵⁾ فشيّدوا لك الهياكل
وقدّموا لك القرابين والضحايا بصفة كونك ابن تنين.
ولكن قل لي أين دفنك المقدونيّون؟

الإسكندر - لقد توفيت في بابل⁽⁶⁾ ولا أزال ملقى هناك منذ
ثلاثين يوماً. لكنّ نائبي بطليموس⁽⁷⁾ وعد بأن ينقلني إلى
مصر حالما يرتاح من الاضطرابات التي تواجهه ويدفنتني
هنالك فأصبح أحد آلهة المصريين.

ديوجين - كيف لا أضحك أيها الإسكندر، وأراك تهذي حتى
في الهاوية وتأمل أن تصير إلهاً كأنيبوس أو أوزيريس⁽⁸⁾،
فلا تأمل أبداً أيها الحالم الإلهي لأنه ليس عدلاً أن يصعد
إلى فوق أحد ممن عبروا البحيرة⁽⁹⁾ مرة واحدة، واجتاز
مدخل الهاوية. فإياكوس يقظ وكرفيوس لا يستهان

(5) هم جوبيتير (زفس) وجونون ونبتون وأبولون ومارس وفولكان وكيركي
(سيريس) ومينيرفا وفيستا وديانا وفينوس وهرميس (ميركور) الذي يستعيض
الرومان عنه ببلوتون.

(6) بابل (Babylone) (Βαβυλών): عاصمة الكلدانيين على نهر الفرات
جنوب بغداد وشرق كربلاء. من أعظم مدن الشرق قديماً. بنت أسوارها
الضخمة وأنشأت بساتينها سميراميس حتى غدت من عجائب الدنيا السبع.

(7) بطليموس (Ptolémée) (Πτολεμαῖος): اسم يطلق على 16 ملكاً تولوا
عرش مصر. أولهم وأشهرهم بطليموس الأول قائد الإسكندر الكبير أنشأ
جامعة ومكتبة الإسكندرية.

(8) أوزيريس (Osiris) (Ὅσιρις): أحد آلهة المصريين، زوج إيزيس ووالد
هوريس وهو حامي الأموات عندهم.

(9) ستيكس (Styx) (Στύξ): نهر عظيم يدور حول الجحيم تسع مرات. كانت
الآلهة تحلف به وكان قسمها عندئذ مبرماً وإذا حنث أحدهم يمينه به فقد
ألوهيته مدة مئة عام.

به. ويسرّني أن أعلم منك كيف تستطيع الصبر عندما تفكر في مجيئك إلى هنا وفيما تركت على الأرض من سعادة: أي الحرس الملكي والضباط والأمراء والذهب الكثير والشعوب التي كانت تعبدك أمثال بابل والباكترا والحيوانات الضخمة وذلك العز وذلك المجد ودخولك ظافراً، والشرطة البيضاء معقودة على رأسك والرداء القرمزي منوطاً بمنكبك. ألا تحزنك هذه الذكريات عند ما تخطر ببالك؟... لِمَ تبكي أيها الأحق، أما علمك الحكيم أرسطو أن عطايا الحظ لا تدوم؟

الإسكندر - الحكيم!... إنه لأمر الملائق طرّاً. أنا الوحيد الذي أعرف أرسطو وأعرف طلباته العديدة مني ومضمون رسائله إليّ. لقد استثمر حبي للعلم فتملّقتني وامتدح تارة جمالي كأنه جزء من الخير وطوراً أعمالي وثروتي فعدها أيضاً من جملة الخير لكيلا يخجل هو نفسه من أخذ حصته منها. ما كان هذا الرجل يا ديوجين إلا دجّالاً غرّاراً. فلم أستفد من فلسفته سوى الحزن على هذه الأشياء التي ذكرتها، حزني على خيرات عظيمة جداً.

ديوجين - أتعرف ماذا يجب عليك أن تصنع؟ إني أشير عليك بدواء يشفيك من حزنك. بما أن الخربق لا ينبت هنا فاذهب واكرع في ماء ليثي ثم اشرب مراراً وتكراراً فيزول حزنك على تلك الخيرات التي كان أرسطو يمتدحها. ولكنني أرى كليتوس⁽¹⁰⁾ وكاليسثين⁽¹¹⁾ وآخرين كثيرين

(10) كليتوس (Clitos) (Κλειτός): أحد ضباط الإسكندر. مع أنه أنقذ حياة الإسكندر في معركة غرانيكوس فقد قتله الإسكندر أثناء وليمة (328 ق. م.).

(11) كاليسثين (Callisthène) (Καλλισθένης): فيلسوف يوناني (360 - 327 ق. م.).

يتراکضون نحوک لیمزقوک انتقاماً منك لما ألحقته بهم
من ضرر. فاسلك طريقاً أخرى واشرب مراراً كما أشرت
عليك.

= م.) تبع الإسکندر في غزواته. أبى أن يسجد له وهزئ منه لادعائه الألوهية فاتهم
بالتأمر وعذب كثيراً حتى مات.



بيليرفون⁽¹²⁾ محمولاً في الهواء على ظهر بيغازوس يقضي على
الخيمايرا⁽¹³⁾.

(12) بيليرفون (Bellérophon) (Βελλεροφών): ابن ملك كورنثس قتل رجلاً
أثينياً وهرب إلى برويتوس ملك تيرونس فأحبهته الملكة ولما رفض مطالبتها سعت
به لدى زوجها فأرسله إلى حميه ملك لوكيا ليقتله فطلب هذا إليه أن يقتل الخيمايرا
فقتلها.

(13) خيمايرا (Chimère) (Χίμαιρα): وحش مؤنث وهي مخلوق عجيب مخيف
من نسل العملاق تيفون. لها رأس أسد وجسم تيس وذيل تنين تقذف باللهب من
فيها. جاءها بيليرفون من الجو على ظهر الفرس المجنح بيغازوس (بيجاسوس)
وأولج رمحه الذي يحمل في سنامه قطعة من الرصاص كبيرة في فيها فذاب
الرصاص وقتلت الخيمايرا في الحال.

مضى الشخص ثم الذكر فافتراضاً معاً وما مات كل الموت من عاش منه اسم

المصري

الهماسة (السادسة) عشرة

الإسكندر وهنوبعل ومينوس⁽¹⁾ وسيبون

الإسكندر - يجب أن أفضل عليك أيها الأفريقي لأنني حقاً
أفضل منك.

هنوبعل - لا أبداً بل أنا الأفضل.

الإسكندر - إذن ليحكم مينوس بيننا.

مينوس - ولكن من أنتما؟

الإسكندر - أما هذا فهنوبعل من قرطاجة⁽²⁾ وأما أنا فالإسكندر
بن فيليبس.

(1) مينوس (Minos) (Μίνως): ابن زفس وشقيق رادامتوس. اشتهر بحكمته وعدله وقدرته على سن القوانين. صار قاضياً في العالم السفلي بعد موته.

(2) قرطاجة (Carthage) (Καρχηδών): مدينة بناها فينيقيون من صور في شبه جزيرة بالقرب من تونس في الجيل السادس ق.م. لم تلبث أن أصبحت عاصمة جمهورية قوية في البحر. قاومت روما بقيادة هنوبعل مقاومة عنيفة كادت تقضي عليها. دمر قرطاجة القائد الروماني سيبون (127 ق.م.).

مينوس - إنكما لشهيران وحق زفس! ولكن فيم خلافكما؟

الإسكندر - في آيتنا أعلى مقاماً. فهذا يدّعي أنه كان قائداً خيراً مني، وأنا في الأمور الحربية، كما يعلم الجميع، ما فقت هذا فحسب بل أيضاً جميع من سبقوني تقريباً.

مينوس - ليتكلم إذن كل منكما بدوره. تكلم أولاً أيها الأفريقي.

هنييعل⁽³⁾ - حسبي يا مينوس أني تعلمت هنا اللغة اليونانية حتى لا تفوق لهذا عليّ ولو بها.

ثم أقول إن أخرى الرجال بالمجد والثناء أولئك الذين نشؤوا من العدم ونهضوا بأنفسهم إلى العلا، وحصلوا على السلطة وأظهروا كفاءة للقيادة. فأنا هاجمت إسبانيا بقبضة من الرجال، وكنت يومئذ تحت إمرة أخي، فشهد لي بأني صالح جداً وكفء لأعظم الأعمال ثم أخضعت الكلتياريين وغاليا الغربية، وبعد أن اجتزت الجبال الشامخة اجتحت جميع الأماكن التي حول الايريدان ودمرت مدناً لا تحصى وسيطرت على سهول إيطاليا حتى أبواب عاصمتها وقتلت في يوم واحد عدداً كبيراً من الرجال حتى إن خواتمهم كيلت بالمكايل، والأنهر عُبرت على جسور من جثث الأموات. لقد فعلت هذا كله ولم أدع أني ابن آمون ولا تظاهرت بأني إله ولا

(3) هنييعل (Annibale) (Avvißag): قائد قرطاجي من أعظم رجال الحرب (247 - 183 ق. م). فينيقي الأصل ابن هميلقار انتقل لمحاربة روما إلى إيطاليا ماراً بإسبانيا وجنوبي فرنسا. بعد انتصارات رائعة انقطعت المدادات عنه فاضطر إلى العودة وانكسر في معركة زاما. لجأ إلى ملك إنفسس. شرب السم ومات لثلاثين يوماً في أيدي أعدائه.

قصصت على الناس أحلام أمتي بل كنت أعترف بأني إنسان وأحارب أمهر القادة وأشتبك في الحرب مع جنود متمرسين جداً ليسوا كالميديين ولا الأرمن الذين ينهزمون قبل أن يهاجموا ويتخلون عن النصر لأول جريء.

أما الإسكندر الذي خدمه الحظ فقد ورث عن آبائه مملكة فكبرها ووسّع حدودها كثيراً، وبعد أن قهر داريوس⁽⁴⁾ المسكين، وتغلب عليه في سهول أسوس⁽⁵⁾ وأربل⁽⁶⁾، أنكر عادات آبائه وأراد أن يعبد الناس وعاش عيشة الميديين، وكان يقتل أصحابه في الولائم ويقبض عليهم ليسلمهم إلى الموت. وأنا تسلمت بحق قياد بلادي التي دعنتني لما اقترب العدو من أفريقيا بأسطول ضخم فليت النداء حالاً ولما حكم عليّ تقبّلت الأمر بصدر رحب واستسلمت كرجل عاديّ بسيط. فعلت كل هذا وأنا بربري⁽⁷⁾ غير مثقف بالثقافة اليونانية، وما تلوت مثله أناشيد هوميروس ولا تتلمذت للسفسطائي أرسطو، ولم أستخدم سوى طبيعتي الصالحة. تلك هي الأشياء، في نظري التي تجعلني أفضل من الإسكندر. ولكن إذا كان هو أجمل مني لأنه كلل رأسه بتاج فهذا يمكن أن يدهش

(4) داريوس (أو دارا) (Δαῖρος) (Darius): داريوس الثالث ملك فارس (336 - 330 ق. م). قهره الإسكندر وقيل إنه قتل وهو منهزم.

(5) أسوس (Issos) (Ἰσσοί): مدينة قديمة في كيليكيا. قهر الإسكندر في ضواحيها ملك فارس داريوس الثالث.

(6) أربل (أربيل وأرباليس) (Ἀρβηλα) (Arbèles): مدينة عراقية شرقي الموصل تغلب عندها الإسكندر على ملك الفرس داريوس عام 331 ق. م.

(7) بربري (ج. بربر): اسم أطلقه اليونان والرومان على الأجانب من الأمم.

المقدونيين ولكنه لا يكون لذلك أفضل من رجل كريم،
أهل للقيادة، خدمته فطنته أكثر مما خدمه الحظ.

مينوس - لقد دافع عن نفسه دفاعاً مجيداً أكثر مما كان ينتظر من
أفريقي وأنت أيها الإسكندر بم تجيب عن ذلك؟

الإسكندر - كان يجب عليّ يا مينوس أن لا أجيب بشيء
رجلاً وقحاً إلى هذا الحد. الشهرة كافية لتعرفك أيّ
ملك كان الإسكندر وأيّ قطاع طريق كان هنيعل.
ولكن انظر البون الذي بيني وبينه. فأنا تسلمت صغيراً
مقاليد مملكة مضطربة فأخضعتها وثارت أبي. وألقيت
العرب في قلوب اليونانيين بتدميري مدينة ثيس. وبعد
أن انتخبوني قائداً رأيت أنه لا يخلق بي حصر اهتمامي
بمملكة المقدونيين وبحكم ما تركه لي والدي، فاتجهت
بفكري إلى الأرض كلها وحسبت أمراً فظيماً إذا لم أسيطر
على كل شيء. فهاجمت آسيا بعدد قليل من الرجال
وانتصرت في معركة كبيرة بالقرب من غرانيكوس
واستوليت على ليديا وإيونيا وفريجيا⁽⁸⁾. وبالاختصار
أخضعت دوماً كل ما كان في طريقي ثم جئت إلى أسوس
حيث كان داريوس ينتظرني على رأس جيوشه الجرارة.
وأنت تعلم يامينوس عدد الأموات الذين أرسلتهم إليك
في يوم واحد منذ ذلك الحين. لقد قال النوتي: إن قاربه
لم يكف لنقلهم حتى إن الكثيرين منهم صنعوا أطوافاً
وعبروا عليها. وفعلت أكثر من ذلك إذ كنت أسير في

(8) فريجيا (Phrygie) (Φρυγία): بلاد واقعة في منتصف آسيا الصغرى
قسمت إلى فريجيا الصغرى والكبرى. من أشهر مدنها قونية وطروادة الخالدة.

الطليعة معرضاً نفسي للطعن. ولا أذكر لك شيئاً عمّا جرى في صور⁽⁹⁾ وأربل بل أكتفي بالقول إنني بلغت الهند وجعلت الأوقيانوس حداً لمملكتي. لقد قهرت بوروس⁽¹⁰⁾ واستحوذت على فيلته، وبعد أن قطعت نهر التنايس⁽¹¹⁾ أخضعت السكيثية وهم قوم لا يستهان بهم بسهولة، في معركة خيالة كبيرة. وعاملت أصدقائي معاملة حسنة وانتقمتم من أعدائي. أما ظهوري للناس كأنني إله فيعذرون إذا ظنّوني كذلك بالنسبة إلى أعمالي العظيمة.

وأخيراً أنا عشت ومِتَ ملكاً، أما هو فقد مات منفيّاً عند بروسياس البيثيني، وكان ذلك عدلاً لكونه كثير الخبث شديد القساوة. أما كيف احتل إيطاليا فإنني لن أقول عن ذلك شيئاً لأنه لم يكن نتيجة القوة بل نتيجة الخبث والغدر والحيل. إنه لم يعرف العدل والاستقامة قط. أما وقد عيّرنِي برخاوتي فيبدو لي أنه نسي ما كان يصنع في كابو⁽¹²⁾ حيث أضاع فرص الحرب، وهو القائد المدهش، في الملذّات مع السراري. وأنا أيّ عمل عظيم كنت صنعت لو لم أهاجم الشرق بعد أن اعتقدت بصغارة أمور الغرب وبعد أن احتللت إيطاليا بدون سفك دماء، وأخضعت ليبيا حتى غادس، وظهر لي هؤلاء القوم أنهم غير جديرين

(9) صور (Tyr) (Τύρ): هي مدينة صور الحالية في لبنان.

(10) بوروس (Porus) (Πόρος): ملك البنجاب، مقاطعة هندية، تغلب عليه الإسكندر.

(11) تنايس (Tanaïs) (Τάναϊς): نهر سيحون.

(12) كابو (Capoue) (Καπὺη): مرفأ جنوب روما احتله هنيبعل ثم أخرج منه.

بالمعارك لأنهم قبعوا مذعورين واعترفوا بي سيداً. لقد
تكلمت فاحكم أنت يا مينوس، فإن هذه الفدلكة وهي
القليل من الكثير لكافية الآن.

سيبيون - لا تحكم قبل أن تستمع إليّ أنا أيضاً!

مينوس - من أنت يا عزيزي، ومن أين أتيت؟

سيبيون - أنا القائد الإيطاليّ سيبيون الذي محا قرطاجة وانتصر
على الأفريقيين انتصارات باهرة.

مينوس - قل ما تريد.

سيبيون - أقول إنني دون الإسكندر وأفضل من هنيعل الذي
هزمته ولحقت به حتى اضطرته إلى هزيمة مخجلة.
فكيف إذن لا يكون وقحاً هذا الذي يفاخر الإسكندر في
حين أنني أنا سيبيون⁽¹³⁾ قاهر هنيعل أعدّ نفسي غير أهل
لأن أقاس بالإسكندر.

مينوس - وزفس، إن ما تقوله يا سيبيون معقول جداً. فالإسكندر
الأول وأنت تأتي بعده وهنيعل الثالث، لأنه هو أيضاً لا
يستهان به.

(13) سيبيون أو سكيبيون الأفريقي (Scipion) (Σκηπίων): قائد روماني
انتصر على هنيعل في معركة زاما 202 ق. م. (235 - 183 ق. م.).



المركب أركو⁽¹⁴⁾ يجتاز الصخور المتلاطمة

(14) أركو: سفينة بنيت لنقل جازون ورفاقه (أركونوت). لقد اجتازت بهم مدخل البحر الأسود الذي كانت على كلتا ضفتيه صخرة ضخمة متحركة تلعب بها الرياح فتلاطم الصخرتان وتسحقان كل سفينة تجازف بالمرور هناك.

أقررت بالجهل، وادّعى فهمي قوم، فأمرني وأمرهم عجب

المعري

المسامرة السابعة عشرة

مينيب وإياكوس وبعض الفلاسفة

مينيب - نشدتك باسم بلوتون⁽¹⁾ يا إياكوس أن تريني كل ما في الهاوية.

إياكوس - ليس بالسهل أن أريك كل شيء يا مينيب ولكنك ستري أهمّ ما فيها. فهذا كرفيروس الذي تعرفه، وقد رأيت، وأنت آتٍ إلى الهاوية، هذا النوتي الذي عبر بك البحيرة ونهر اللهب.

مينيب - إنني أعرفهما وأعرف أنك حارس الأبواب هنا، وقد

(1) (بلوتون) وهادس وأدنوس وذيس (Πλούτων) (Pluton): شقيق جوبيتر الذي جعله ملكاً على المملكة المظلمة مقر الأموات في جوف الأرض حيث كان يقيم حسب معتقد الأقدمين. (وهادس أيضاً مقر أرواح الموتى ومملكة بلوتون).

رأيت الملك وربّات الذعر أيضاً. فأرني الآن رجال
الأعصر الغابرة ولا سيما المشهورون منهم.

إياكوس - هذا أغاميمنون وذاك أخيل، وهنا ايدومينيوس⁽²⁾ ثم
أوليس فأياس وذيوميذ وخيرة اليونانيين.

مينيب - وا أسفاه، يا هوميروس، إن أبطال قصائدك قد هروا
إلى الحضيض مجهولين مشوهين فما هم إلّا رغام وهراء
عظيم وجماجم لا حول لها ولا طول. ولكن من هذا يا
إياكوس؟

إياكوس - هذا قورش⁽³⁾، وذاك قارون، وبالقرب منه سردنبال،
ووراءهما ميداس وهذا زارش.

مينيب - يا للتحالة! أهذا أنت الذي جمعت بين شاطئي
الهيليسبون⁽⁴⁾ وحاولت أن تشق طريقاً في الجبال لسفنك
فجعلت بلاد اليونانيين تنظر إليك هلعة... ويا لمصير
قارون!... اسمح لي يا إياكوس أن أصفح خد سردنبال.

إياكوس - لا، أبداً، لأنك ستحطم جمجمته الرخوة كجمجمة
امرأة. هل تريد أن أريك الحكماء؟

(2) ايدومينيوس (Idoménée) (Ἰδομενεύς): ملك جزيرة كريد. حفيد
مينوس. أحد أبطال حرب طروادة.

(3) قورش (سيروس) (Kūros) (Cyru): مؤسس الإمبراطورية الفارسية نحو
560 - 529 ق.م.

(4) هيليسبون (Hellepont) (Ἑλλήσποντος): اسم قديم لمضيق الدردنيل.

مينيب - لا بدّ من أن أبصق على هذا المخنث كل التخنث.

إياكوس - هل تريد أن أريك الأموات الآخرين؟

مينيب - إي، وزفس!

إياكوس - أولاً هذا فيثاغورس.

مينيب - السلام عليك يا أوفورب⁽⁵⁾ أو أبولون أو من تشاء!

فيثاغورس - عليك السلام يا مينيب.

مينيب - ألا تزال فخذك من ذهب؟⁽⁶⁾

فيثاغورس - كلا! ولكن أرني جرابك أليس فيه ما يؤكل؟

مينيب - فيه فول يا عزيزي، غير أن الفول⁽⁷⁾ ليس من مأكلك.

(5) أوفورب (Euphorbe) (Εὐφορβος): أحد الذين اشتركوا في حرب طروادة. قتله منيلاس. في تسمية مينيب لفيثاغورس تارة بأوفورب وطوراً بأبولون تلميح إلى معتقد فيثاغورس بالتناسخ وأنه هو أوفورب نفسه، وإلى اعتقاد تلاميذه بأن أبولون تقمص فيه.

(6) فخذ من ذهب (Cuisse d'or) (Χρυσόδμηρός): من الخوارق التي تعزى إلى فيثاغورس أنه ظهر مرة في الألعاب الأولمبية برجل من ذهب.

(7) فول (Fèves) (Κύαμοι): كان فيثاغورس يقول: امتنعوا عن أكل الفول. وفسر قوله هذا تفسيرات مختلفة، فمن قائل أنه يريد بذلك تحريض الناس على الابتعاد عن القضايا العامة لأن الفول كان يستعمل في بعض الجمهوريات لإعطاء الأصوات، ومن قائل، كمينيب، إن فيثاغورس يريد بذلك المنع تجنيب الناس الكفر لأنه يعتقد بأن أرواح الموتى تسكن في الفول فمن الكفر أكله.

فيثاغورس - أعطني، فأراء المرء تتبدل بمجيئه إلى دنيا الأموات.
إني تعلمت هنا أن لا شبه بين الفول ورؤوس الآباء.

إياكوس - وهذا سولون⁽⁸⁾ بن اكسيكيستيد وذاك تاليس⁽⁹⁾
وبالقرب منهما بيتاكوس⁽¹⁰⁾ والحكماء الباقون، إن السبعة
هنا كما ترى.

مينيب - هؤلاء وحدهم يا إياكوس فرحون مرحون. ولكن من
هذا المغشى بالبثور المعفر بالرماد كخبز ملة؟

إياكوس - هذا أمبيذوكليس، يا مينيب، الذي جاء حديثاً من
الإتنا نصف مشويّ.

مينيب - ما الذي حداك يا صاح، يا ذا الرجلين النحاسيتين، على
إلقاء نفسك في فوهة البركان؟

(8) سولون (Σολων) (Solon): مشرع أثيني وأحد حكماء اليونان السبعة
المشهورين (640 - 558 ق. م).

(9) تاليس (طاليس) (Θαλής) (Thalès): أحد الحكماء السبعة (640 - 558
ق. م.). انفرد بالعناية بالعلوم. بدأت الفلسفة به وهو واضع المسألة الطبيعية
وضعاً نظرياً وبذلك شق للفلسفة طريقها. من أقواله إن الماء هو المادة
الأولى والجوهر الأوحده الذي تتكون منه الأشياء. هذا القول كان مألوفاً
عند الأقدمين الذين سبقوه إنما هو امتاز عنهم بدعم رأيه بالدليل، إذ قال إن
النبات والحيوان يغتذي بالرطوبة، ومبدأ الرطوبة هو الماء، فما منه يغتذى
فمنه يتكون بالضرورة، ثم إن النبات والحيوان يولد من الرطوبة، فإن الجراثيم
الحية رطبة، وما منه يولد الشيء فهو منه يتكون.

(10) بيتاكوس (Πιττακός) (Pittakos): أحد الحكماء اليونانيين السبعة
المشهورين (650 - 569 ق. م.).

أمبيذوكليس⁽¹¹⁾ - عارض سويداء يا مينيب!

مينيب - لا، وجوبيتير، بل حب المجد الباطل والكبرياء
والحماقة الزائدة هي التي سببت حرقك مع نعليك،
وكننت بالحرق حرياً. ثم إن حيلتك التي حسبتهابارة لم
تجدك نفعاً لأن موتك اتضح للجميع. وأخيراً أين سقراط
يا إياكوس؟

إياكوس - إنه يثرثر أغلب الأحيان هو ونسطور وبلاميد.

مينيب - أودّ أن أراه إذا كان قريباً من هنا.

إياكوس - أترى ذاك الأصلع؟

مينيب - الكل صلع هنا. فالصلع علامة مشتركة بين جميع
الأموات.

إياكوس - ذاك الأفطس؟

مينيب - الكل هنا فطس الأنوف أيضاً.

(11) أمبيذوكليس (Empédocles) (Εμπεδοκλής): فيلسوف يوناني سبق
سقراط، ولد عام 483 ق. م. اصطبغت تعاليمه بصبغة دينية. كان عالماً بالطب
والفيزياء. اتهمه معاصروه بالسحر. زاد على العناصر الأربعة (الماء والهواء
والنار والتراب) التي قال بها الفلاسفة الأيونيون عنصرين جديدين هما
المحبة والبغض واعتبرهما مصدر كل حركة. عرفه العرب ونسبوا إليه تعاليم
صوفية ممزوجة بالآراء الفلسفية.

يحكى أنه ادعى النبوة بل الألوهية وأنه قذف بنفسه في فوهة الاتنا لكيلا
يعثر معاصروه على بقاياه ويحسبوا أنه صعد إلى السماء. ويروى أن البركان
ابتلع أمبيذوكليس لكن قذف بحذائه سالماً كما لو أراد أن يظهر للناس حيلة
أمبيذوكليس في انتحاره.

سقراط - هل تفتش عني يا مينيبي؟

مينيبي - أجل يا سقراط.

سقراط - كيف الأحوال في أثينا؟

مينيبي - إن شبّاناً كثيرين يدّعون أنهم فلاسفة. وإذا نُظر إلى لباسهم ومشيتهم فهم فلاسفة كاملون.

سقراط - لقد رأيت كثيرين منهم.

مينيبي - أظنّ أنك رأيت كيف جاء إلى هنا أريستيبوس⁽¹²⁾ وأفلاطون نفسه، الأول بروائح العطرية والثاني بما اكتسبه من عادات في تمليق طغاة صقلية.

سقراط - ولكن ماذا يقال عني؟

مينيبي - إنك يا سقراط لرجل سعيد في هذا الخصوص. الناس كلهم يعتقدون أنك كنت رجلاً عجبياً وأنت كنت تعرف كل شيء، وأنا أظن، والحق يجب أن يقال، أنك ما عرفت شيئاً.

سقراط - هذا ما كنت أنا نفسي أقوله لهم. وأما هم فقد حسبوا ذلك هزلاً. ولكن تعال اضجع بالقرب منا إذا حسن لديك.

(12) أريستيبوس (Ἀριστιππος) (Aristippe): تلميذ سقراط ومؤسس المدرسة القورينية وزعيم المذهب القائل بأن اللذة أساس السعادة. ولد في أفريقيا الشمالية (القيروان - ليبيا).

مينيب - لا، وجوييتير! إني ذاهب لأمكث بالقرب من قارون
وسردنبال حيث أعلل نفسي بالضحك الكثير حينما
أسمعهما ينتحبان.

إياكوس - وأنا ذاهب أيضاً لثلا يفرّ أحد من الأموات. سترى
البقية في المرة المقبلة يا مينيب.

مينيب - اذهب يا إياكوس، ففي ما رأيت الكفاية.



بيغازوس تخرج من دم ميدوسا التي قطع برسيوس رأسها

لم يستريحوا من شرور ديارهم إلا برحلتهم إلى الأجدات

المعري

الأسطورة (الثامنة عشرة)

ديوجين وبوليفيكس

ديوجين - أظن يا بوليفيكس أن دورك في العودة إلى الحياة
غداً، فحالما تصعد تذكر وصيتي إلى الكلب مينيب إذا
ما لقيته، (وستلقاه في كورنثس ناحية الكرانيون أو في
المعهد⁽¹⁾ يسخر من مشاكسات الفلاسفة)، قل له : "إذا
كنت اكتفيت يا مينيب من الهزء مما يجري على الأرض،
فإن ديوجين يدعوك إلى المجيء إلى الهاوية حيث
ستضحك أكثر بكثير، فهناك يخامر ضحكك الشك،
إذ كثيراً ما تتساءل: "من يعرف معرفة تامة ما يكون بعد
الحياة؟" أما هنا فلن تنقطع عن الضحك بكل طمأنينة كما

(1) المعهد (Λύκειον) (Lycée): متنزه في أثينا مزدان بأروقة وحدائق حيث
كان أرسطو يلقي دروسه.

أضحك أنا الآن، ولا سيما عندما ترى الأغنياء والولاة والطغاة ذليلين حقيرين لا يعرفون إلا من تأوهاتهم، ضعفاء متلاشين عندما يتذكرون الأشياء العلوية". قل له هذا كله وأن يملأ أيضاً جرابه جيداً من الترمس ويضيف إليه، إذا صادف في مفترق طريق، عشاء هيكاتي بيضة مطهرة⁽²⁾ أو ما شابه ذلك.

بوليذيفكيس - سأبلغه ذلك كله يا ديوجين، ولكن صفه لي لكي أعرفه تماماً.

ديوجين - إنه رجل عجوز أصلع يرتدي ثوباً بالياً كثير الثقوب مفتوحاً لكل ريح ومرقعاً برقع مختلفة الألوان، يضحك دائماً ويسخر غالباً من أولئك الفلاسفة الصلفين.

بوليذيفكيس - من السهل أن أعرفه بعد هذا الوصف.

ديوجين - هل تريد أن أوصيك بشيء إلى هؤلاء الفلاسفة أنفسهم؟

بوليذيفكيس - قل، حتى وصيتك هذه لن تكون عبثاً ثقيلاً.

ديوجين - أوصهم بصورة عامة أن يكفوا عن هذيانهم وجدلهم في العموميات وعن جعل بعضهم للبعض الآخر قروناً، وعن الاقتداء بالتماسيح⁽³⁾ في طرح أسئلة معقدة كهذه

(2) بيضة مطهرة: استعمل القدماء البيض للتطهير. كانوا يضعونه سالماً بعد الاحتفال في زوايا الأزقة. والبيض جزء مما كان يسمى عشاء هيكاتي.

(3) تماسيح (وقرون) (Crocodyles) (Κροκόδειλοι): تلميح إلى القياسات =

الأسئلة التي لا حل لها، وعن إغراء العقول في بحث مثل
هذه القضايا.

بوليذيفكيس - إذا طعنت في فلسفتهم فسيقولون عني إني عديم
الثقافة جاهل.

ديوجين - إذن بلّغهم عني أن ينتحبوا.

بوليذيفكيس - سأبلّغهم هذا كله يا ديوجين.

ديوجين - يا عزيزي الصغير جداً بوليذيفكيس بلّغ أيضاً الأغنياء
عني وقل لهم: أيها المجانين، لماذا تدّخرون الذهب؟
ولماذا تعذبون أنفسكم بحسب ريع أموالكم وتكديسكم
كنزاً فوق كنز أنتم الذين ستأتون إلى الهاوية بعد زمن
قصير وليس معكم سوى أبول واحد؟...

بوليذيفكيس - سأفعل ذلك.

ديوجين - قل أيضاً للجميلين والأقوياء، لميجيل الكورنثي
والمصارع داموكسين⁽⁴⁾، إنه لا يوجد عندنا شعور شقاء
ولا عيون براقّة أو سوداء ولا نضارة في الوجه ولا

= المضحكة التي كان السفسطانيون يلجؤون إليها في جدلهم كقولهم: "للمرء ما لم يفقد، والحال أن زيدا لم يفقد قروناً، إذن له قرون". وفي استعماله كلمة التماسيح إشارة إلى القصة التالية: اختطف تمساح طفلاً فاستعطفته أم الطفل فوعدها التماسيح بأن يرده إليها إذا قالت الحقيقة، وحالاً سألها هل يعيد ابنها إليها؟

(4) داموكسين (Δαμόξενος) (Damoxène): اسم شخص وهمي أو مجهول.

أعصاب متينة ولا أكتاف قوية بل كل شيء هنا سيكونيا⁽⁵⁾
أي جماجم مجردة من الجمال.

بوليذيفكيس - ليس صعباً أن أقول ذلك للجميلين والأقوياء.

ديوجين - وأخيراً أيها اللاسيذيموني، قل للفقراء (فهم كثيرون
ويتألمون من حظهم ويندبون شقاءهم) أن لا ييكوا ولا
يثنوا وأخبرهم بالمساواة السائدة عندنا وأنهم سوف
يرون الأغنياء في دنياهم لا يفضلونهم هنا في شيء،
وفي استطاعتك إذا شئت أن توبّخ مواطنيك من قبلي
لاسترخائهم.

بوليذيفكيس - لا تقل شيئاً، يا ديوجين، عن اللاسيذيمونيين⁽⁶⁾
لأنني لا أحتمل ذلك ولكني سأبلغ الآخرين ما قلت.

ديوجين - ليكن ما تريد ولنضع هذا جانباً، ولكن لا تنس ما
أوصيتك به إلى الذين ذكرتهم لك سابقاً.

(5) ميكونيا: جزيرة جرداء يمثل بها كل شيء أجرد.

(6) لاسيذيموني (Λααεδαίμωνιος) (Lacédémonien) و(Λακωνικός):
نسبة إلى لاسيذيمون أو إسبارطة عاصمة اليلوبونيز شبه الجزيرة اليونانية
الجنوبية.



ديوجين في برميله

تقواك زاد فاعتقد أنه أفضل ما أودعته في السقاء

المعري

اللسارة (التاسعة) عشرة

خارون وهرميس وجماعة الأموات

خارون - أصبحوا فأخبركم حقيقة الحال بالنسبة إليكم. إن الزورق ليضيق بنا فهو كما ترون صغير ناخر يسرب الماء إليه من أكثر أجزائه، فإذا مال إلى إحدى الجهتين فإنه ينقلب ويغرق وقد جئتم جمعاً غفيراً دفعة واحدة يحمل كل منكم أشياء كثيرة فأخشى إذا نزلتم وهذه الأشياء إلى الزورق أن تندموا، ولا سيما الذين لا يحسنون السباحة منكم.

الأموات - ما العمل إذن لتكون رحلتنا موفقة؟

خارون - أنا سأشرح لكم: يجب عليكم أن تدخلوا المركب عراة وأن تتركوا على الشاطئ جميع الأشياء الزائدة، ومع ذلك فإن الزورق يكاد يضيق بكم. وأنت يا هرميس، منذ

الآن، لا تقبل أحداً ما لم يتعرّ ويتجرّد حسب أوامري من
جميع أشياءه. قف قرب السلم وفتشهم جيّداً وأجرهم
على الصعود إلى الزورق عراة.

هرميس - لقد أصبت وسأنفذ أوامرك! من ذا الذي يتقدم
الجميع؟

مينيب - أنا مينيب يا هرميس، فهذا جرابي وهذه عصاي، ألقهما
في البحيرة. وأما ردائي فلم أحمله معي، وحسناً فعلت.

هرميس - اصعد يا مينيب، يا خير الرجال، واجلس في المكان
الأول قرب الربان في أعلى الزورق كي تراقب الجميع.
ثم من هذا الشاب الجميل؟

خارمولاولوس⁽¹⁾ - أنا خارمولاولوس الميغاري المحبوب جداً.

هرميس - إذن اترك هنا جمالك وشعرك الكثّ ونضارة وجنتيك
وجلدك كله. حسن، لقد صرت الآن رشيقياً فاصعد. ومن
أنت يا شامخ الأنف ذا التاج والثياب القرمزية؟

لامبيخوس - أنا لامبيخوس طاغية جيل⁽²⁾.

هرميس - لماذا جئت بهذه الأشياء كلها يا لامبيخوس؟

لامبيخوس - أكان يجب على الطاغية أن يأتي إلى هنا عارياً يا

(1) خارمولاولوس (Χαρμόλεος) (Kharmolaos): شخص مجهول أو وهمي.

(2) جيل (Γέλα) (Géla): إحدى مدن صقلية.

هرميس؟

هرميس - لا يجب أن يأتي الطاغية عريانياً بل المَيّت. فدع هذه الأشياء جانباً.

لامبيخوس - هذه ثروتي أطرحتها.

هرميس - أطرح كبرياءك أيضاً وأبتهتك الباطلة فهي متاع يثقل الزورق.

لامبيخوس - ولكن اسمح لي بأن أحتفظ بتاجي وثوبي القرمزيّ.

هرميس - لا، أبداً! يجب أن تتركهما أيضاً.

لامبيخوس - ليكن ما تريد، ثم ماذا؟ لقد تركت كل شيء كما ترى.

هرميس - يجب أيضاً أن تتجرّد من قساوتك وزهوك الجنوني وقحتك وغضبك.

لامبيخوس - هأنذا عارٍ كما شئت.

هرميس - اصعد - ومن أنت أيها السمين البدين؟

دامسياس⁽³⁾ - أنا المصارع دامسياس.

هرميس - أجل، فظاهرك ينبئ عنك وأنا أتذكر أنني رأيتك مراراً

(3) دامسياس (Δαμασίας) (Damasias): اسم شخص وهمي أو مجهول.

في الميادين الرياضية.

ذامسياس - صدقت يا هرميس. فاقبلني ما دمت عارياً.

هرميس - لست عارياً يا صديقي وعليك هذا اللحم الكثير فتجرد منه وإلا أغرقت الزورق بوضعك فيه إحدى قدميك. ألق عنك أيضاً هذه الأكاليل وإعلانات انتصاراتك.

ذامسياس - هأنذا عارٍ كما ترى لا أزن أكثر من أي ميت آخر.

هرميس - من الأفضل أن تكون خفيفاً هكذا. أدخل الآن! - أما أنت يا كراتون⁽⁴⁾ فبعد أن غادرت ثروتك وتنعمك وملذاتك دع الآن فخامة جنازتك وأمجاد أجدادك واترك هنا أيضاً كريم محتدك وما نقش أيضاً على تماثيلك وما أذاعه مواطنوك عن أمجادك ولا تقل إنهم سيّدوا فوقك قبراً فخماً فذكرى هذه الأشياء وحدها تثقل الزورق.

كراتون - إني أترك هذه الأشياء مكرهاً فليس في وسعي أن أفعل غير ذلك.

هرميس - ها ها! ماذا تريد أيها المدجج بالسلاح، أو لماذا أتيت بهذا السلاح الذي غنمته؟

القائد - إنه رمز مكافأة مواطني لي على انتصاراتي وتفوقي على الآخرين.

(4) كراتون (Cratos) (Κράτος): شخص وهمي أو مجهول.

هرميس - دع هذا كله على الأرض فالسلام مستتبّ في الهاوية.
ولا حاجة إلى السلاح أبداً. ثم من هذا الذي تدل ثيابه
على الأقل على صرامته وخطورته، الرافع حاجبيه الغارق
في التأمل، ذو اللحية الكثيفة المسترسلة؟

مينيب - إنه فيلسوف يا هرميس بل ممخرق مشعوذ فجّده أيضاً
تر أشياء كثيرة مضحكة مخبأة تحت ردائه.

هرميس - اخلع ثوبك أولاً ثم الأشياء الأخرى كلها. يا لزفس.
كم من صلف ومن جهل أيضاً وحب للجدل والمجد
الباطل، ومن أسئلة ليس لها من جواب، وخطب شائكة
وتوريات ومواربات عقيمة، ويا للثرثرة والحماقات
والكلم الجزيل عن توافه الأمور. أجل وزفس، عنده أيضاً
ذهب وشغف بالملذّات وغضب وقحة ورخاوة وترف
(إن هذه الأشياء لا تخفى عليّ مهما حاولت إخفاءها)
فاطرح أيضاً أكاذيبك وقحتك واعتقادك بنفسك أنك خير
من جميع الناس. إن زورقاً ذا خمسين مجدافاً لا يستطيع
حملك مع متاع كهذا.

الفيلسوف - ها قد تركت كلّ شيء تنفيذاً لأمرك.

مينيب - إن لحيتك الكثة الثقيلة، كما ترى يا هرميس، تزن على
الأقل خمس أمناء فأجبره على تركها أيضاً.

هرميس - صدقت. - اترك لحيتك أيضاً.

الفيلسوف - ومن يجزّها؟

هرميس - إن مينيب يجزّها بفأس يأخذها من شاغلي السفن
وسيتخذ من السلم مرتكحاً يسندك إليه.

مينيب - لا يا هرميس بل أعطني منشاراً فذلك أدعى إلى
الضحك.

هرميس - الفأس تكفي.

مينيب - حسن هكذا! الآن وقد تخلصت من هذه اللحية القذرة
صرت أشبه بالبشر منك فيما مضى. هل تريد أن أنزع شيئاً
من حاجبيه.

هرميس - لك ما تشاء. ها هو يرفعهما فوق جبينه وينتصب واقفاً
ولا أعرف لذلك سبباً. ما هذا؟ أتبكي أيها القذر وترتعد
أمام الموت اصعد سريعاً!

مينيب - إنه لا يزال متأبطاً أثقل الأشياء.

هرميس - ما هو يا مينيب؟

مينيب - التمليق يا هرميس، لقد استغلّه كثيراً في حياته.

الفيلسوف - وأنت يا مينيب تخلّ أيضاً عن حرّيتك وصراحتك
وعدم اكترائك وعزّة نفسك وعن الضحك إذ لا يضحك
من الأموات أحد سواك.

هرميس - لا، بل احتفظ بهذه الأشياء كلّها فهي خفيفة يسهل
حملها ومفيدة في رحلتنا. - أما أنت يا أستاذ البيان فدع

جانباً سلاطة لسانك التي لا ينضب معينها ومطابقاتك
ومقابلاتك واستداراتك واصطلاحاتك وسائر ما في
خطبك من ثقل وتعقيد.

الأستاذ - ها قد تركت كل شيء.

هرميس - أحسنت صنعاً. حلوا الأمراس الآن وارفعوا السلم
والمرساة وانشروا الشراع. إلى الدفة أيها النوتي! سفر
ميمون! لماذا تتحبون أيها الحمقى، ولا سيما أنت أيها
الفيلسوف الذي حلقنا لك لحيتك منذ هنية؟

الفيلسوف - لأنني كنت أعتقد يا هرميس أن النفس خالدة.

مينيب - إنه لكاذب فهو يحزن لأشياء أخرى.

هرميس - وما هي؟

مينيب - إنه يحزن لكونه أصبح غير قادر على التهام المأكّل
الفاخرة الثمينة ولا على الخروج ليلاً وإخفاء رأسه بردائه
عن أعين الناس ليرتاد مواخير الدعارة ولا على سلب
الشباب دراهمهم ثمناً لحكمته.

الفيلسوف - إذن أنت لا تحزن يا مينيب لأنك مت؟

مينيب - كيف أحزن وأنا نفسي سرت إلى الموت ولم يدعني
إليه أحداً! ولكن أما سمعت، ونحن في الحديث، أصوات
أناس كأنها آتية من سطح الأرض؟

هرميس - أجل يا مينيب، ولكن مصدرها ليس واحداً. فأناس
يتجمعون ضاحكين فرحين بموت لامبيخوس، والنساء
يحاصرون أرملة، والصبية يهاجمون أطفاله ويرشقونهم
بحجارة لا تحصى، وآخرون يصفقون استحساناً لأستاذ
البيان ذيوفانت⁽⁵⁾ الذي يرثي كراتون، هذا في سكيون،
وتلك هي، قسماً بجوييتير، أم دامسياس تئن وتبدأ مع
النساء ندب ولدها. أما أنت يا مينيب فما من أحد يبكيك،
فأنت وحدك مستريح.

مينيب - كلا، فقريباً تسمع نباح الكلاب المحزن وتصفيق
أجنحة الغربان عندما تجتمع لأجل دفني.

هرميس - إنك لجريء يا مينيب. ها إن رحلتنا قد انتهت فاسلكوا
أنتم هذا الطريق المستقيم إلى المحكمة⁽⁶⁾ أما أنا والنوتي
فسنرجع لنأتي بغيرهم.

مينيب - سفرة سعيدة يا هرميس. أما نحن فإلى الأمام! لم هذا
التباطؤ؟ لا بدّ لنا من المحاكمة ويقال إن العقوبات هائلة:
عجلات وعقباناً وصخوراً⁽⁷⁾، وسوف يؤدّي كلّ حساباً
دقيقاً عن حياته.

(5) ذيوفانت (Diophantos) (Διόφαντος): اسم شخص وهمي أو مجهول.

(6) المحكمة (Tribunal) (Δικαστήριο): هي المحكمة التي تنظر في
أعمال الناس بعد موتهم ويحكم فيها على الأموات بالعذاب أو النعيم.

(7) عجلات (Roues) (Τροχοί) وعقبان (Vautours) (Γύπες) وصخور
(Rochers) (Αἶθρι): تلميح إلى عذابات أكسيون وسيسيف وبرميثيوس.



هرمیس

ملكوا هما سلكوا سبل الرشـد بل ملؤوا الـديار ضواريأ ومزاهرا

المعري

الـهـسـامـرة العـشـرون

فـيـلـيـس والإسـكـنـدر

فيليس - لا تستطيع الآن، أيها الإسكندر، أن تنكر أنك ابني، فلو
كنت ابناً لآمون لما مت!

الإسكندر - أنا ما كنت أجهل يا أبت أني ابن فيليس بن أمتاس.
غير أني تقبلت تنبؤات الكهّان ظناً مني أنها تنفع مشاريعي.

فيليس - ماذا تقول؟ كنت تحسب أن في انخداعك بأكاذيب
العرافين نفعاً لك؟...

الإسكندر - كلاً، ولكن البربر ارتعدوا خوفاً مني ولم يثبت
أمامي أحد منهم لاعتقادهم أنهم يحاربون إلهاً، وهكذا
انتصرت عليهم بسهولة أكبر.

فيليس - على أي جنود جديرين بهذا اللقب انتصرت، أنت

الذي ما حاربت قطّ غير رجال جبّاء مسلّحين بقسيّ حقيرة
وبتروس صغيرة أو من قصب! إنما الفخر في التغلب على
جيوش اليونانيّين والبيوتيين والفوكيين والأثينيين! وإنما
الأعمال المجيدة في الانتصار على جيوش أركاديا⁽¹⁾
وخيّالة تسّاليا ورمّاحة إيليدا⁽²⁾ ومشاة متينيه المسلّحين
بتروس خفيفة، أو التراقيين والإيليريّين والبيونيين أيضاً!
أما تعلم أن عشرة آلاف يوناني دخلوا قبلك آسيا بقيادة
كليارك⁽³⁾ وقهروا الميديين والفرس والكلدانيين، تلك
الشعوب التي أوهن عزائمها الذهب والترّف. إنهم لم
يصمدوا حتى يتصلّوا بالأعداء بل انهزموا قبل أن تصل
إليهم السهام.

الإسكندر - ولكن السكيثيّة يا أبت وفيلة الهنود لا يستهان بهم
ومع ذلك فقد انتصرت عليهم من غير أن أفرّق بينهم أو
اشترى الانتصار عليهم بالخianات ولم أنكث عهداً ولم
أخلف وعداً ولم ألجأ إلى الغدر قطّ في سبيل الظفر
ولم أسفك نقطة دم واحدة في إخضاع اليونانيين ما عدا
الشيبيين، فقد تكون سمعت بالتنكيل الذي نكلته بهم.

(1) أركاديا والنسبة إليها أركادي (Ἀρκαδία) (Arcadie): مقاطعة في شبه جزيرة البيلوبونيز في اليونان.

(2) إيليدا (Ἠλιδας) (Elide): مقاطعة على الساحل الغربي من البيلوبونيز في بلاد اليونان.

(3) كليارك (Κλέαρκος) (Cléarque): قائد من إسبارطة. اشتهر في حرب البيلوبونيز وقاد حملة العشرة آلاف بعد معركة كوناكسا. قتل بأمر تيسافرون واستبدل به كسينوفون.

فيليس - أعرف ذلك كله فقد أخبرني كليتوس الذي ضربته أثناء الوليمة بعَثرَتِكَ ضربة نفذت صدره فقتل لأنه تجرّأ على الإشادة بأعمالي إلى جانب أعمالك. ويقال أيضاً إنك خلعت اللباس المقدوني وارتديت لباس الفرس ووضعت على رأسك تاجاً عالياً، وأردت أن يعبدك المقدونيون، وهم رجال أحرار، والذي يضحك أكثر من ذلك كله تقليدك المغلوبين في أخلاقهم وعاداتهم. ولا أقول شيئاً عن أعمال أخرى كثيرة صنعتها كحبسك رجالاً مثقفين مع الأسود واحتفلت بزواجك كهذه وغرقت في عشق هوفيستونه. غير أنني امتدحت عملاً عملته وسمعت به وهو أنك عفت عن زوجة داريوس الجميلة واعتنيت بأمه وبناته فهكذا تفعل الملوك!

الإسكندر - ألا تمتدح يا أبت حبي الأخطار ووثبتي، وكنت أول من وثب، إلى داخل سور مدينة الأوكسيدراك⁽⁴⁾، وتلك الجراح العديدة التي جرحتها؟؟؟...

فيليس - إنني لا أمتدح ذلك أيها الإسكندر لا لأنني أعتقد أنه لا يليق بالملك أن يعرض نفسه على رأس جيشه وأن يجرح أحياناً، ولكن لأن عملاً كهذا ما كان ليجديك نفعاً وأنت تتظاهر بأنك إله، فلو جرحت مرة وشوهدت محمولاً إلى خارج ساحة القتال تئنّ من ألم الجراح والدم يسيل منك لصرت أضحوكة لمن يراك، ولثبت بذلك أن آمون ما هو

(4) أوكسيدراك (Oxydraques) (Οξυδράκαι): شعب الهند القديم الذي قاوم الإسكندر بشجاعة للمحافظة على استقلاله.

إلا خداع وعرف كاذب وأنبيأوه مملقون. ثم من كان استطاع أن يتمالك عن الضحك لدى رؤيته ابن جوبيتير وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة وبحاجة إلى نجدة الأطباء؟ والآن بعد أن متّ أما تظنّ أن الذين يسخرون من ذلك التظاهر كثيرون عندما يرون جثة الإله مطروحة وآخذه في الانتفاخ والتفسخ كسائر الجثث؟ ثم إن تلك الأكذوبة التي كانت تعود عليك ببعض النفع، حسب رأيك أيها الإسكندر، بتسهيلها لك الظفر كانت تقلّل شأن أعمالك العظيمة التي صنعتها بنجاح لأن هذه الأعمال كانت دائماً دون ما ينتظر من إله!

الإسكندر - الناس لا يفكرون هذا التفكير في ما يتعلّق بي فهم يجعلوني نداءً لهرقل وباخوس⁽⁵⁾ في حين أنني استوليت وحدي على صخرة آورن⁽⁶⁾ التي عجز عنها ذاك البطلان والتي تعجز عن بلوغها الطيور.

فيليس - أما ترى أنك لا تزال تتكلّم كأنك ابن لآمون فتشبه نفسك بهرقل وباخوس؟ ألا تخجل أيها الإسكندر؟! ألا تزع عن كبريائك؟! لقد متّ أفلا تعرف من أنت ولا تفهم؟!...

(5) باخوس (Bacchus) (BάxXoc): ابن جوبيتير وسيميلي، وهو إله الخمرة.

(6) آورن (Aopvoc) (Aorne): قلعة على شاطئ نهر الأندوس، روي أن هرقل حاصرها عبثاً.



طفولة باخوس

ولو خيرت لم أترك محلي فاسكن في مضيق بعد رحب

المعري

المسامرة الهادئة والعشرون

انتيلوخوس⁽¹⁾ وأخيل

أنتيلوخوس - ماذا قلت في الأمس، يا أخيل، لأوليس فيما يتعلق بالموت؟ يا لصغارة ما قلت وعدم لياقته بأستاذيك خيرون وفينيكس⁽²⁾! لقد سمعتك جيداً وأنت تقول أنك تؤثر الاستخدام في الأرض أجيراً عند رجل لم يرث شيئاً ولم يعرف قط للرخاء طعماً من أن تملك على الأموات كلهم. قد يخلق التلفظ بهذا الكلام بفريجى حقير جبان

(1) أنتيلوخوس (Antiloque) (Ἀτίλοκος): ابن نستور ملك بيلوس وشيخ الأمراء الذين حاصروا طروادة. اشتهر بحكمته.

(2) فينيكس (Phœnix) (φοῖνιξ) رجل من تساليا. لعنه أبوه في ساعة غضب وأبعده فالتجأ إلى بلاط الملك بيلوس الذي عهد إليه بتربية ابنه أخيل فعلمه البلاغة وفن الحرب.

ما كلف بشيء كلفه بالحياة. أما أن يفكر ابن بيليوس أجراً
الأبطال في مجابهة الأخطار هذا التفكير فذلك عار عظيم
يناقض ما عملت في حياتك أنت الذي فضّلت مختاراً
الموت مع الصيت الحسن على الملك الطويل على
الفتيتيد⁽³⁾ بدون مجد.

أخيل - ولكنني آنذاك، يا ابن نسطور، لم أكن قد خبرت الأمور
التي هنا وكنت أجهل أيّ الشئين أفضل. ولهذا أثرت ذلك
المجد الحقيق على الحياة، أما الآن فإنني أفهم أنه باطل لا
خير فيه مهما أجهد الشعراء أنفسهم في امتداحه هنالك،
وأن المساواة تسود الأموات، فهنا يا أنتيلوخوس لا قوة
ولا جمال بل كلنا متشابهون نغمرنا الظلمة، لا شيء يميّز
الواحد من الآخر. فالأموات الطرواديون لا يخشونني
والأموات اليونانيون لا يعنون بي، المساواة كاملة: مَيّت
يعدل مَيّتاً، سواء أكان صالحاً أم شريراً، فهذا ما يحزنني
فأتألم لأنني لست في الحياة ولو أجيراً.

أنتيلوخوس - ولكن ما العمل يا أخيل وقد استحسنت الطبيعة
أن يموت الناس كلهم أجمعون؟ فعلينا أن نخضع لقانونها
ونرضى بما قدر علينا. ثم انظر إلينا نحن رفاقك ما أكثرنا
حولك، ولا بدّ لأوليس أن يأتي أيضاً بعد فترة قصيرة من
الزمن، ثم إن المرء يتعزّى إذا شعر أنه لا يقاسي وحده ما
يقاسي. وأعتقد أن هرقل وميلياغر⁽⁴⁾ وسائر عظماء الرجال

(3) فتيتيد (Phthiote) (φθιώτης): بلاد جنوب تساليا.

(4) ميلياغر (Méléagre) (Μελέαγρος): ملك كالودونيا. اشتهر بالشجاعة. =

الجديرين بالإعجاب لا يقبل أحد منهم بأن يرجع إلى الأرض على أن يكون أجيراً لأناس لا ثروة لهم ولا مال.

آخيل - هذا كلام صديق حقاً، ولكنني لست أدري لماذا تحزنني ذكرى الحياة وأعتقد أنها تحزن أيضاً كل واحد منكم. فإن كنتم ذلك فإنكم أسوأ حالاً مني لأنكم تتألمون صامتين!

أنثيلوخوس - كلا، يا آخيل، بل نحن أحسن حالاً لأننا نرى أن التذمر لا يجدي فآثرنا الصمت والصبر على الألم والاستسلام لثلاث نصير أضحوكة مثلك بتمنيّا أشياء كهذه.



وداع هيكتور لاندروماك

= اشترك في حملة الأرغونوت، بحارة سفينة الأركو. قتل خنزير كالدونا الوحشي.

تعب كلها الحياة فما أعجب
ألا من راغب في ازدياد

المعري

المسألة الثانية والعشرون

ديوجين وأنتيستينوس وكراتيس

ديوجين - لا عمل لنا يا أنتيستينوس وكراتيس فلماذا لا نقصد
مدخل الهاوية مستنزهين فنرى الهابطين إلينا من هم وما
يصنع كل واحد منهم؟

أنتيستينوس - هيا يا ديوجين فلا شك أن المشهد سيكون ممتعاً
فسنرى البعض ييكون، والبعض الآخر يتوسلون ليطلق
سراحهم، والآخرين يكرهون على النزول ومع ذلك
يحاولون الرجوع ويقاومون منبطحين وهرميس يدفع
برقابهم إلى الأمام فتذهب مقاومتهم عبثاً.

كراتيس - سأقص عليكما إذن ما شاهدته أثناء الطريق يوم نزلت
إلى هنا.

ديوجين - تكلم يا كراتيس فيبدو أنك شاهدت أشياء مضحكة.

كراتيس - لقد نزلنا جمعاً غفيراً وكان بيننا رجال مشهورون، منهم مواطننا الغني اسمينودور⁽¹⁾ وأرساك⁽²⁾ حاكم ميديا⁽³⁾ وأوريتيس⁽⁴⁾ الأرمني. أما اسمينودور الذي قتله اللصوص على ما أعلم عند سفح الفيرون وهو ذاهب إلى إيليفسيس فكان يثنّ ويداه على جرحه منادياً أولاده الذين غادرهم أطفالاً، وكان يلوم نفسه على جرأته على اجتياز القيثرون والبقعة المحيطة بالاليفثر التي صيرتها الحروب بلقماً وهو يحمل خمس أوان ذهبية وأربع أكؤس وليس في صحبته إلا خادمان. أما أرساك الطاعن في السن فقد كان، قسماً بجوييتير، مهيب الهيئة مغضباً محتتماً غيظاً كبربري حقيقي لمشييه على الأقدام وكان يريد أن يؤتى إليه بحصانه الذي قتل وإياه في معركة مع الكاباذوكيين على ضفاف الاراكس بضربة سددها إليهما أحد المشاة التراقيين فنفذتهما. لقد روى أرساك أنه سبق جميع رجاله مسافة طويلة فتصدى له رجل تراقي شجاع قطعنه أرساك برمحه طعنة اتقاها التراقي بالمجنّ ثم أركز رمحه فنفذ الفرس والفارس معاً.

(1) اسمينودور (Ismínodōros) (σμηνόδορος): اسم شخص وهمي أو مجهول.

(2) أرساك (Ἀρσάκης) (Arsaces)، (Arsakés): مؤسس مملكة البارثيين 255 ق.م.

(3) ميديا (Μῆδεια) (médie): مقاطعة في آسيا عاصمتها أكباتان والنسبة إليها ميدي.

(4) أوريتيس (Ορείτης) (Orætès): اسم شخص وهمي أو مجهول.

أنثيسثينوس - أذلك ممكن بضربة واحدة يا كراتيس؟

كراتيس - الأمر في غاية السهولة يا أنثيسثينوس فالواحد كان هاجماً ويده رمح مسدد طوله عشرون ذراعاً، والتراقيّ بعد أن اتقى الطعنة بمجنه وأصبح سنان الرمح وراءه جثا على ركبتيه وتلقى صدمة أرساك برمحه فجرح صدر الحصان الذي طعن نفسه لسرعته واندفاعه طعنة نفذته ونفذت حالب أرساك حتى كليتيه. فأنت ترى أن ذلك كان بفعل الحصان أكثر منه بفعل الرجل. لقد غاظه أن يعامل كالآخرين وكان يريد أن يهبط ممتطياً جواده. أما أوريتيس الرجل العادي فما كان يستطيع المشي ولا الانتصاب على رجله لضعفهما كسائر الميدين الذين يمشون عندما يترجلون عن خيولهم بصعوبة وعلى رؤوس أقدامهم كأنهم يمشون على الشوك، فألقى أوريتيس بنفسه إلى الأرض ولم يشأ الوقوف البتّة فحمله عندئذ هرميس العظيم على كتفيه حتى الزورق. أما أنا فكنت أضحك.

أنثيسثينوس - وأنا أيضاً لم أختلط بالجمهور عندما نزلت بل تركتهم ينوحون وأسرعت إلى الزورق حيث اخترت لنفسي مكاناً مناسباً جداً للإبحار، فكان البعض منهم ييكون والآخرين يقاسون عذاب الدوّار طوال السفر أما أنا فكنت ألهو بمشاهدتهم على تلك الحال.

ديوجين - هؤلاء كانوا رفاقكما يا كراتيس وأنثيسثينوس. أما رفاقي الذين نزلوا معي فهم المرابي فيليسياس من البيرة، ولمبيخوس الأكرنانيّ قائد الفرق المرتزقة والمثري

الكورنثي دامييس⁽⁵⁾. فذاميس سمه ابنه ولمبيخوس هام
 بالغانية ميرتي وانتحر في سبيلها وأشيع أن المسكين
 فيليبسياس أمسك عن الطعام حتى مات جوعاً، وكان
 فقوع اصفراره ونحول جسمه دليلاً على ذلك. فأخذت
 أسألهم كيف ماتوا مع علمي به. وقلت لذاميس الذي كان
 يلعن ابنه : إن ابنك لم يظلمك فأنت كنت في التسعين من
 عمرك وكنت تملك ألف وزنة تقريباً وكنت تنفق الوقت
 في الملذات وكنت تعطي شاباً في الثامنة عشرة من عمره
 أربعة أبولات. وقلت للاكرناني (الذي كان يثنّ ويلعن
 أيضاً ميرتي) لماذا تتهم الحبّ يا هذا ويجدر بك ألاّ تتهم
 أحداً سواك! أنت المقدم الذي ما خشيت الأعداء قط بل
 كنت تقاتل دائماً في الصف الأول فقد تغلبت عليك امرأة
 ساقطة بدموعها الكاذبة ونحيبها. أما فيليبسياس فقد أخذ
 يلوم نفسه لأنه جن جنوناً عظيماً بتوفيره الثروات لورثة لا
 يمتون إليه بقرابة. لقد ظنّ الأحقق أنه لن يموت أبداً! لقد
 كان لي مشهد تألمهم وانتحابهم ألهية نادرة.

ها قد بلغنا مدخل الهاوية فعلينا أن ننظر ونلاحظ الداخلين
 إليها آه! إنهم كثيرون ومن مختلف الأصناف. الكل سيكون
 - وما عدا المولودين حديثاً والرّضع - حتى الذين عمروا
 كثيراً يتحسرون ما هذا! أي شراب سحريّ تملكهم وحبّ
 إليهم الحياة؟! ... أريد أن أستجوب هذا الشيخ الطاعن في
 السن: لقد عمّرت طويلاً وما أتيت إلاّ شيخاً همّاً. فلماذا
 تبكي ولم تغضب يا صاح هل كنت ملكاً؟

(5) دامييس (Dāmis) (Δάμις): اسم شخص وهمي أو مجهول.

الفقير - كلا.

ديوجين - كنت حاكماً عظيماً إذن؟

الفقير - ولا هذا.

ديوجين - إذن هل كنت غنياً والآن تتحسّر على الملذّات التي
حرمتك إياها الموت؟

الفقير - لا شيء من هذا القبيل. لقد ولدت منذ تسعين عاماً
تقريباً وليس لي ولد، وكنت فقيراً معدماً ما عشت إلا من
القصة والشصّ، وكنت أيضاً أعرج وأعمش.

ديوجين - تلك حالك وتود لو تعيش؟!...

الفقير - أجل، فالنور مستحبّ والموت هائل مكروه.

ديوجين - إنك تهذي أيها الشيخ. إنك تثور على ما لا بدّ منه
مثل ولد لا يعقل، أنت الذي تعدل النوتي في السن. فما
عسى أن يقال عن الشباب طالما أن الشيخ يتعشقون
الحياة ولا يخلق بهم إلا أن يتوقوا إلى الموت كدواء لآلام
الشيخوخة! ولكن عودوا بنا خشية أن يرانا أحد نحوم
حول مدخل الهاوية فيشكّ في أمرنا ويحسب أننا نتأمر
للهرب.



سيفال يقتل خطأ زوجته الصغيرة

لا تشمخ الأنفُ الشمّ التي رزقت ما لا يدوم فما يبقى لها الشمم

المعري

الهسارة (الثالثة) والعشرون

نيريوس⁽¹⁾ ومينيب وتيرسيت⁽²⁾

نيريوس - ها هو ذا مينيب، فإنه سيحكم بيننا! أينا أجمل، تكلم يا مينيب، أما أبدو لك أنني الأجمل؟!

مينيب - ولكن من أنتما؟ أعتقد أن هذا ما يجب أن أعرفه أولاً.

نيريوس - نيريوس وتيرسيت.

مينيب - إذن فمن منكما نيريوس ومن تيرسيت؟ فهذا أيضاً لا يزال غامضاً.

(1) نيريوس (Nérée) (Νηρείς): ملك ساموس إحدى جزر الأرخبيل اليوناني. أجمل شاب بعد آخيل. قتل في حصار طروادة.

(2) تيرسيت (Thersite) (Θερσίτης): أحد المحاربين الإغريق أمام طروادة وهو معارض من الرعاع، ظن أنه ينضم في العالم السفلي إلى أياص وبالاميد عدوي أوليس.

تيرسيت - بادئ بدء أنا أشبهك يا نيريوس فأنت لا تمتاز عني
كثيراً بجمالك كما وصفك ذلك الأعمى هوميروس بقوله
أنتك أجمل اليونانيين. فمع أنني مكوز الرأس أصلعه لم
أظهر للحكم أنني دونك في شيء. انظر إلينا يا مينيب، فلن
تحكم بأنه الأجمل؟

نيريوس - أنا ابن أغليا⁽³⁾ وخاروبوس⁽⁴⁾، أجمل من أتوا إلى
أسوار ايليون.

مينيب - أنا أعتقد أنك لست أجمل من أتوا إلى تحت الأرض
أيضاً. فالعظام متشابهة غير أن جمجمتك قد تمتاز عن
جمجمة تيرسيت من جهة واحدة فقط بأن تحطيمها أسهل
من تحطيم تلك، فهي واهنة وليست على شيء من القوة.

نيريوس - ولكن سل هوميروس عني كيف كنت يوم سرت مع
اليونانيين!

مينيب - إن ما تذكره الآن لي إنما هو أحلام. فأنا أرى ما أنت
عليه في الوقت الحاضر. أما ما مضى من أمرك فقد عرفه
معاصروك.

نيريوس - ألسنت أجمل من هنا يا مينيب؟

مينيب - ما من جميل هنا، لا أنت ولا غيرك. فالمساواة سائدة
في الهاوية حيث الجميع متشابهون.

تيرسيت - حسبي هذا وحده.

(3) أغليا (Aglaé) (Ἀγλαία): بنت جوبيتير وفينوس.

(4) خاروبوس (Charops) (Χάρωψ): زوج أغليا ووالد نيريوس.



أبولون⁽⁵⁾ وإلهات الفنون الجميلة

(5) أبولون (أبولو وأفلون وأفولون) (Απόλλων) (Appollon): ابن جوبيتر ولاتون. وهو إله النور والحرارة يقود مركبة الشمس فيحيي الكائنات وينضج الثمار وهو أيضاً إله الموسيقى والوحي. أعظم وأجمل هياكله في دلف.

كم هلكت غادة كعاب

وعُمرت أمها العجوز!

المعري

اللساعة الرابعة والعشرون

تيربسيون وبلوتون

تيربسيون - أمن العدل يا بلوتون أن أموت أنا في الثلاثين بينما
لا يزال حياً ذلك العجوز ثوكريت⁽¹⁾ وقد تجاوز التسعين
من عمره؟

بلوتون - ذلك منتهى العدل يا تيربسيون! فثوكريت يعيش ولا
يتمنى موت أحد من أصدقائه. أما أنت فكنت تنصب له
الأشراك في كل وقت طمعاً في تركته.

تيربسيون - أليس من الواجب أن يفارق الحياة ويفسح المجال
للشباب طالما أصبح شيخاً عاجزاً عن التمتع بنفسه
بشروته؟

(1) ثوكريت (Θουκρίτης) (Thoucrite): شخص مجهول أو وهمي.

بلوتون - إنك تضع قوانين جديدة يا تيربسيون: فأنت تزعم أن الرجل الذي لا يستطيع التصرف بثروته في سبيل هواه يجب أن يموت. إن القدر والطبيعة قررا غير ذلك.

تيربسيون - هذا ما أنكره عليهما. إن الأمور يجب أن تجري بانتظام أي أن يموت أولاً الأكبر سنّاً ثم يأتي دور من هو أصغر منه. أما العكس فلا، كأن يموت أجمل الشباب وأقواهم ويظل في قيد الحياة رجل قد عمّر طويلاً ولم يبق في فيه سوى ثلاث أسنان، يكاد يكون أعمى ويتوكأ على أربعة من العبيد، أنفه مملوء رعاماً، وعينه عمشاوان ولا يجد لذة له في شيء كأنه قبر حيّ، يسخر الأحداث منه. فالنهر في هذه الحال يجري من أسفل إلى أعلى! أو يجب على الأقل أن يعرف سلفاً متى يموت كل من هؤلاء المسنّين كي لا يخدم البعض منهم سدى. أما الآن فقد صدق المثل: رب ثور يجره المحراث.

بلوتون - في الحقيقة يا تيربسيون إن في هذه الأشياء لحكمة أجلّ مما يخيّل إليك. ولكن أنتم لماذا تمدّون أيديكم إلى أموال غيركم؟ ولماذا تسعون لدى المسنّين العقر ليتبنوكم؟ إنكم عندما تدفنون قبلهم يسخر الناس منكم فتصبحون تسلية للكثيرين، لأن موتكم قبلهم يلدّ للجميع بقدر ما كنتم تتمتّون الموت لهم. لقد ابتدستم فناً جديداً بتعشقكم العجائز والشيوخ لا سيما العقر منهم، أما الذين لهم أولاد فلا تحبّونهم، ومع ذلك فإن الكثيرين من أولئك المسنّين حتى الذين لهم أولاد، قد فهموا زيف حبّكم،

فصاروا يتظاهرون ببغض أولادهم ليجمعوا هم أيضاً
العشاق حولهم، لكنهم عندما يكتبون وصيتهم يحرمون
الذين خدموهم طويلاً فيعود الحق في كل شيء إلى
صاحبه، الولد والطبيعة، وهذا عدل. أما أولئك المداحون
الذين خدعوا فإنهم يصرفون بأسنانهم غيظاً.

تيربسيون - بالصواب نطق! فمن الراهن أن ثوكريت قد التهم
أشياء كثيرة قَدَمَها إليه وكان يخيل لي دائماً أنه على وشك
الموت إذ كنت أجده، كلما دخلت عليه، يثنّ أُنيناً ضعيفاً
ويصرخ صراخاً عميقاً مثل قوب نقف البيضة حديثاً، حتى
بتّ أعتقد أنني سأضعه في تابوته قريباً. وصرت أكثر من
إرسال الهدايا إليه خشية أن يفوقني مزاحمي في الكرم،
وكم من ليلة قضيتها أرقاً بسبب الهموم وأنا أعدّ وأرتّب
كل شيء. فما سبب موتي إلا الأرق والهم. أما هو، وقد
ابتلع ما ألقمته إياه، فقد وقف منذ يومين بالقرب مني ساعة
دفني هازئاً بي.

بلوتون - إيه يا ثوكريت! عش طويلاً غنياً ضاحكاً من أمثال
هؤلاء الرجال وعساك لا تموت قبل أن تبعث بالمملّقين
كلّهم إلى هنا.

تيربسيون - في الحقيقة يا بلوتون إنني أسرّ جداً إذا ما مات
خارديا قبل ثوكريت.

بلوتون - اطمئن يا تيربسيون فإن الهموم نفسها ستودي بفيدون⁽²⁾

(2) فيدون (Φείδων) (Phédon): اسم شخص وهمي أو مجهول.

وميلانت⁽³⁾ أيضاً وسائر المملّقين إلى هنا قبله.

تيريسيون - إني أوافق على ذلك. عش طويلاً يا ثوكريت.



بیرام وتیسبه

(3) ميلانت (Mélante) (Μέλανθος): اسم شخص وهمي أو مجهول.

إن كان من فعل الكبائر مجبراً فعقابه ظلم على ما يفعل

المعري

المسامرة الخامسة والعشرون

مينوس وسوسترات⁽¹⁾

مينوس - يا هرميس ليلق هذا الشقيّ سوسترات في نار
الفليجيتون ولتمزّق الخمائرا هذا الدنس، وليوضع هذا
الطاغية بالقرب من تيتيوس⁽²⁾ ولتأكل العقبان كبده كما
أكلت كبـد تيتيوس. أما أنتم أيها الصالحون فاهلموا إلى مقرّ
النعيم وأقيموا في جزر السعداء جزاء الأعمال الصالحة
التي عملتموها طوال أيام حياتكم!

سوسترات - اسمع يا مينوس، واحكم في صواب ما أقول.

(1) سوسترات (Σώστρατος) (Sostrate): رجل وهمي أو مجهول.

(2) تيتيوس (تيتوس) (Τιτυός) (Titye): ابن زفس وجيا (الأرض) كان عملاقاً ضخماً. رقد في العالم السفلي منبسطاً فوق تسعة أفدنة من الأرض وكان نسران يقتاتان من كبده وما كان بوسعه التخلص منهما.

مينوس - أأصغي إليك أيضاً؟ ألم تقتنع يا سوسترات بأنك رجل شرير وقد قتلت هذا العدد الكبير من الناس؟!

سوسترات - لقد اقتنعت، ولكن انظر أمن العدل أن أعاقب على ما فعلت؟

مينوس - إنه العدل بالذات، إذا كان على الأقل عدلاً أن يقاسي المرء عذاباً استحقه.

سوسترات - على كل حال أجبني يا مينوس فسأوجز أسئلتني لك.

مينوس - تكلم ولا تسهب لكي نتمكن من محاكمة الباقيين.

سوسترات - أكنت مختاراً في عمل جميع ما عملت في حياتي أم أن ميرا ربة الأقدار⁽³⁾ نسجته لي؟

مينوس - ميرا طبعاً!

سوسترات - إذن، نحن كلنا الصالحون والأشرار ما كنا إلا كعبيد لميرا فيما عملنا!

مينوس - أجل لكلوثر التي تحدّد لكل إنسان، ساعة ميلاده، الأعمال التي يجب عليه أن يعملها.

سوسترات - والآن إذا أكره رجل على قتل رجل آخر ولم يكن في وسعه أن يقاوم من أكرهه كالجلاد مثلاً الذي ينفذ أمر

(3) البارك (Parques) (Μοῖραι): باللاتينية، وميرا باليونانية: ربّات الأقدار. ثلاث إلهات وهنّ ربّات القضاء والقدر الناسجات حياة البشر ومدبراتها. إحداهن كلوثر تشرف على ولادة الناس وتمسك المغزل. والثانية لأخييس تدير المغزل والثالثة أتروبوس تقطع خيط المغزل أي خيط الحياة.

حاكم، والحارس الذي يطيع أمر طاغية، فمن تعدّ المسؤول
عن القتل؟

مينوس - طبعاً الحاكم أو الطاغية، حتى السيف لا يمكن أن يكون
مسؤولاً فما هو إلا آلة في خدمة أهواء ذاك الذي كان السبب
الأول في الجريمة.

سوسترات - أحسنت يا مينوس فقد زدت على مثلي، وإذا حمل
عبد، بناءً على أمر سيده، ذهباً أو فضة إلى شخص ما
بفضل من يجب أن يعترف هذا الشخص أو من يجب أن
يسجل كمحسن.

مينوس - بفضل الذي أرسل العبد يا سوسترات، لأن الحامل
مستخدم.

سوسترات - انظر إذن أيّ عمل تأتي إذا أنت عاقبتنا، نحن الذين ما
كنّا إلا منفذي أوامر كلوثو، إذ تكرّم أناساً ما كانوا إلا خداماً
لأعمال الآخرين الصالحة، ولا يستطيع أحد أن يقول إن في
الإمكان مقاومة تلك الأعمال المحتومة المقدورة.

مينوس - تستطيع يا سوسترات أن ترى أشياء أخرى كثيرة تجري
خلافاً للمنطق إذا أنت أنعمت النظر فيها جيداً. وعلى كل
ستستفيد من أسئلتك لأنك على ما يظهر لي لست قاطع
طريق فحسب بل سفسطائياً أيضاً. فأطلق سبيله يا هرميس
بدون عذاب أو عقاب. ولكن احذر أنت أن تعلّم الأموات
الآخرين أن يسألوا مثل هذه الأسئلة!



مارسياس⁽⁴⁾ يسلخ حياً بأمر أبولون

(4) مارسياش (Marsyas) (Μαρσύας): تحدى مارسياش أبولون في التوقيع على المزمارة وقيل أبولون التحدي شرط أن يكون للفائز مطلق التصرف بالمهزوم وحكمت ربات الفن لأبولون فشد الإله وثاق مارسياش إلى شجرة وأمر بسلخه حياً.

وأما الأولون فأغبياء

فأما هؤلاء فأهل مكر

المعري

اللمسامة السادسة والعشرون

مينيب وأمفيلوخوس وتروفونيوس⁽¹⁾

مينيب - لا أدري يا تروفونيوس وأمفيلوخوس كيف اعتبرتما
بعد موتكما عرافين وجديرين بأن تشاد لكما الهياكل
وكيف أن الحمقى من الناس اعتقدوا أنكما إلهان؟

أمفيلوخوس - هل الذنب ذنبنا إذا جنّ أولئك فاعتقدوا في
أموات ما اعتقدوا؟

مينيب - ولكنهم ما كانوا ليعتقدوا ذلك المعتقد لو لم تقصّنا
عليهم في حياتكما حماقاتكما بأنكما تعرفان سلفاً ما
سيجري وأنكما تستطيعان كشفه إلى من يطلب ذلك.

(1) تروفونيوس (Trophonios) (Τροφώνιος): عراف كهف ليادي في
بيوتيا. اعتبر فيما بعد إلهاً مع زفس.

تروفونيوس - يا مينيبي إن أمفيلوخوس⁽²⁾ هذا يعرف ما يجب أن يجيب به عن نفسه. أما أنا فإني "بطل"⁽³⁾ وأتكهن لمن يأتي إليّ. ولكن يظهر أنك ما سافرت قط إلى ليبادي⁽⁴⁾، ولولا ذلك لآمنت بهذه الأشياء.

مينيب - ماذا تقول؟ لأنني لم أذهب إلى ليبادي ولم أجد الكهف من الكوة الضيقة مرتدياً أنسجة كتانية بصورة مضحكة وفي يدي قرص من الحلوى لا أستطيع أن أعرف أنك ميّت مثلنا ولا تمتاز عنا إلا بالممخرقة فقط؟!... ولكن نشدتك الآلهة ما البطل؟ فإني أجهل ذلك!

تروفونيوس - إنه مركب من إنسان وإله.

مينيب - تقول إنه ليس إنساناً وليس إلهاً وهو الاثنان معاً، فإلى أين ذهب إذن نصفك الآلهي؟

(2) أمفيلوخوس (Amphiloque) (Ἀμφίλοχος): أحد الذين اشتركوا في الحرب الطروادية. كانت له قدرة على التنبؤ كأبيه أمفياراوس.

(3) بطل (Héros) (Ἥρωες): أبطال الأسطورة مخلوقات فوق البشر ودون الآلهة من نسل إلهي وبشري معاً، ولذا سمو أيضاً أنصاف آلهة. أعد لهم جوييتير "جزر السعداء" في أقصى تخوم الأرض قرب مجرى الأوقيانوس ليعيشوا هنالك في نعيم مقيم.

(4) ليبادي (Lébadée) (Λεβάδεια): اسم علم لكهف في بيوثيا حيث كان يتنبأ تروفونيوس.

تروفونيوس - إنه في بيوتيا⁽⁵⁾ يا مينيبي يتكهّن.

مينيب - لا أفهم ما تقول يا تروفونيوس، أمّا أنك مائت كلّك
فذاك أراه بكلّ وضوح.

(انتهى)

(5) بيوتيا والنسبة إليها بيوتي (Béotie) (Βοιωτία): مقاطعة في بلاد اليونان
عاصمتها ثيبة.



لاوكون⁽⁶⁾ بن بريام، كبير الكهنة، تخنقه مع ولديه حيتان بأمر
جوبيتير

(6) لاوكون (Λαοκόων) (Laocoon): كاهن طروادي لأبولون حذر شعبه من حملهم الحصان الخشبي إلى داخل أسوار طروادة، ذلك الحصان الضخم الذي ملأه الإغريق بالرجال المسلحين وتركوه وراءهم خدعة منهم، فغضبت عليه الآلهة أثينا وأرسلت إليه من البحر أفعوانين فذهبا إلى ولدي لاوكون، ولما هم بانقاذهما التف الأفعوانان عليهم وماتوا خنقاً.

مینیب او استفتاء مَیت

مينيب أو استفتاء مَيّت

مينيب وفيلونيدس⁽¹⁾

مينيب - "سقف بيتي عليك مني السلام إن مرآك فرحة ومرام"

"عدت من عالم الظلام إلى النور ر بقلبي إلى حماك هيام"⁽²⁾

فيلونيدس - من هذا، أليس الكلب مينيب؟ إنه هو نفسه ما لم تكن عيناى مضطربتين. هذا مينيب حقاً. ولكن ماذا يقصد بلبس هذا الثوب الغريب، وما هذا الطربوش، وفروة الأسد، وهذه القيثارة؟ فلأحدثنه. السلام عليك يا مينيب! من أين وفدت إلينا؟ إنك لم تظهر في المدينة منذ أمد طويل؟

مينيب - "من مقرّ الأموات تحت التراب

عدت بعد اجتيازي الظلمات"

(1) فيلونيدس (Φιλονίδης) (Philonidés): اسم شخص وهمي أو مجهول.

(2) أوريبيدس (Εὐριπίδης) (Euripide): أحد شعراء المسرح اليوناني الثلاثة الكبار. ولد في سلامين (480 - 406 ق. م.).

"حيث يثوى في وحشة واكتئاب هادس⁽³⁾ نائياً عن الآلهات"
فيلونيدس - قسماً بهراكليس إني أجهل أن مينيبي توفي ثم بعث
حياً.

مينيب - "ما عرفت المنون واستقبلتني

هادس خافق الجوانح حياً"

فيلونيدس - ولكن ما الذي حداك على القيام بهذه الرحلة الجديدة
الغريبة؟

مينيب: - "جرأة في الحجبى وغضّ شبابي

دفعاً بي إلى دياجي العباب"

فيلونيدس - كفّ أيها السعيد عن تمثيل هذه المأساة وانحدر من
سماء الشعر وقل لي ببساطة ما هذا اللباس الغريب وأي
حاجة كانت بك للهبوط إلى الجحيم لاسيما أن الطريق إليها
ليس فيها ما يلدّ أو يغري.

مينيب - "حملتني على هبوط الجحيم

يا صديقي مناط حبي العميم"

"حاجة عندي لاستشارة روح

لابن ثيبة⁽⁴⁾ تريسياس⁽⁵⁾ الحكيم⁽⁶⁾"

(3) الهاوية (هادس والجحيم): العالم السفلي مقر أرواح الموتى ومملكة بلوتون.

(4) ثيبة (وثيس وطيبة وطيوّة) والنسبة إليها ثيبّي (Θῆβαι) (Thèbes): عاصمة
بيوسيا، شمال أثينا.

(5) تريسياس (Τῑρεσίᾱς) (Tirésias): عراف مدينة ثيبة. اعتبر إلهاً أعطاه
جوبيتير القدرة على التنبؤ والتنجيم حتى بعد الموت في هادس.

(6) هوميروس (إلياذة، أوديسة) (Ὅμηρος) (Homère): أشهر شعراء اليونان. =

فيلونيدس - لا شكّ في أنك تهذي يا صاح وإلا لما كنت تخاطب
أصدقاءك إلا شعراً.

مينيب - لا يدهشّتك ذلك يا رفيقي، فقد صحبت منذ قليل
أوريبيدس وهو ميروس ولا أدري كيف امتلأت من أشعارهم
حتى إن الكلام الموزون يتدفّق من فمي بديهياً. ولكن قل لي
كيف تسير الأمور على الأرض وماذا يجري في المدينة؟

فيلونيدس - لا جديد بل كلّ شيء على حاله: نهب وحث بالوعود
ومراعاة حقيرة واهتمام بتكديس الأموال.

مينيب - آه يا لهم من تعساء إنهم يجهلون أيّ تدابير اتخذت في
الجحيم وأيّ قرارات صدرت بحق الأغنياء، لا مفرّ لهم منها
قسماً بكرفيروس.

فيلونيدس - ماذا تقول؟ صدرت في الجحيم قرارات جديدة بحق
سكان الأرض!

مينيب - أجل، قسماً بزفس، وهي كثيرة، ولكن لا يجوز إفشاء
الأسرار وإعلانها أمام الجميع فقد نتهّم بالكفر أمام محكمة
رادامنتوس.

فيلونيدس - أستحلفك بزفس يا مينيب ألا تحرم صديقك هذا
الحديث، إنك تخاطب رجلاً يعرف أن يسكت وهو مع ذلك
مريد مبتدئ.

مينيب - إنك تفرض عليّ بذلك عملاً خطراً ولكنني سأجازف

= تنسب إليه ملحمة الإلياذة والأوديسة، عاش في القرن التاسع قبل الميلاد.

بعض المجازفة لأجلك. لقد تقرّر بحق ذوي الغنى الطائل أولئك الذين يحتفظون بالذهب محبوساً مثل داناي⁽⁷⁾...

فيلونيدس - لا تقل لي يا صاح شيئاً عن هذه القرارات قبل أن تقصّ عليّ ما أحبّ معرفته؛ أولاً عن غايتك من هبوطك إلى هادس ومن كان دليلك في هذه الرحلة ثم تفصيل ما رأيت وما سمعت هناك لأنني أظنّ أن رجلاً نظيرك يحبّ الأشياء الجميلة لا يدع شيئاً يفوته مما يستحق أن يسمع أو يرى.

مينيب - يجب أن ألبي رغبتك، وهل من سبيل إلى الرفض عندما يطلب صديق بإصرار؟ إذن سأشرح لك قبل كل شيء فكرتي والسبب الذي جعلني أنزل إلى الجحيم: لمّا كنت أقرأ، وأنا فتى، روايات هوميروس وهسيود⁽⁸⁾ عما كان يجري في الأولمب ليس فيما بين أنصاف الآلهة فحسب بل أيضاً فيما بين الآلهة أنفسهم من تطاحن ومنازعات عدا الفجور والعنف والخطف والدعاوى وطرد الوالدين، وتزوج الأخ بأخته، كنت أعتقد أن جميع هذه الأعمال شريفة وكنت أشعر بدافع قوي يدفعني إلى التلذّذ بها. ولكن لمّا صرت في طور الرجولة سمعت الشرائع تأمر بعكس ما يقوله الشعراء وتحظر الزنا والخلافات والاعتصاب، ف وقعت منذ ذلك الحين في حيرة كبيرة لا أدري كيف أضبط سلوكي، إذ كنت

(7) داناي (Danaé) (Δανάη): بنت اكريسوس وافريديكي بنت ملك طروادة. تنبأ عراف ديلف لأبيها بأنه سيكون لها ولد يقتله ويصبح ملكاً. فحبسها أبوها لما كبرت في غرفة تحت الأرض. غير أن جوبيتير زارها في محبسها فأنجبت منه بيرسيوس.

(8) هسيود (Hésiode) (Ἡσίοδος): شاعر يوناني ولد في اسكرا في الجيل التاسع أو الثامن ق. م. تمتاز أشعاره بما فيها من عاطفة دينية أخلاقية تعليمية.

أعتقد أن الآلهة ما كانت لتزني وتتخاصم لو لم ترَ في ذلك عملاً شريفاً، ومن جهة أخرى ما كان المشترعون ليأمرُوا بالعكس لو لم يجدوا ذلك مفيداً. وفي حيرتي عزمت على الذهاب إلى أولئك الأشخاص الذين يدعون بالفلاسفة والارتقاء بين أيديهم ووضع ذاتي تحت تصرفهم لكي يرشدوني إلى الطريق البسيطة الآمنة لتصرفي بين الناس. وبهذه النية كنت أتقرب منهم وأنا أجهل أنني كما يقول المثل أرمي بنفسي من الدخان في وسط النار إذ إنني وجدتهم بعد التجربة على جانب عظيم من الجهل والتشكك. وهكذا أظهرُوا لي أن العيشة الذهبية إنما هي عيشة العامة. وفي الواقع، كان ينصح لي أحدهم بالاستسلام للملذات والبحث في كل شيء عن اللذة فحسب إذ فيها كل السعادة⁽⁹⁾، وكان ينصح لي آخر بالعكس، بينما كان آخر يحضّني على التعب الدائم والشقاء وقهر الجسد وإهماله في القذارة والبشاعة كريهاً محترقاً مهيناً لدى جميع الناس، وكان يستشهد في كل مناسبة بأبيات هسيود الشائعة في الفضيلة والعرق والذروة التي يجب بلوغها⁽¹⁰⁾، وكان غيره يحثّني على احتقار الثروة واعتبار امتلاكها شيئاً لا يؤبه له⁽¹¹⁾، وكان آخر يعتبر أن الثروة هي أيضاً خير. وماذا أقول عن آرائهم في الكون؟ لقد كنت أقرف لدى سماعهم كل يوم يتكلمون عن المثل والكائنات المجردة والفراغات والذرات وكلمات أخرى من هذا

(9) فلسفة أتباع أبيقور.

(10) فلسفة المذهب الكلبي.

(11) فلسفة الرواقيين.

القبيل. وما هو أغرب من ذلك أن كلاً منهم عند إدلائهم بأرائهم المتضاربة عن الأشياء ذاتها يأتي بحجج قاطعة مفحمة حتى بات من المحال أن ننفي مقالة من يثبت أن شيئاً هو حام ومقالة من يثبت أن الشيء نفسه بارد مع العلم جيداً بأن الشيء لا يمكن أن يكون حامياً وبارداً في آن واحد. لقد كنت حقاً مثل أولئك النيام الذين تميل رؤوسهم طوراً إلى الأمام وتارة إلى الوراء.

ولكن إليك ما لا يقبله عقل: لقد وجدت، وأنا أراقب هؤلاء الفلاسفة أنفسهم، أن سلوكهم يخالف تماماً أقوالهم. لقد كنت أرى الذين ينصحون باحتقار الثروات يتمسكون بها تمسكاً لا انعتاق منه ويتنازعون على فوائد الأموال ويعلمون لقاء أجور ويتحملون كل شيء في سبيل المال. والذين يزهدون في المجد يعملون ويتكلمون في سبيل المجد نفسه فقط والذين كانوا يدعون إلى ترك اللذة منغمسين في اللذة في حياتهم الخاصة انغماساً كلياً.

لقد نابني بعد خيبة أُملي هذه عذاب أمّض من العذاب الذي كنت فيه من قبل، ولكنني كنت أتعزّي قليلاً لدى افتكاري بأنني إن كنت أحمق تائهاً لا أزال أجهل الحقيقة فقد وجدت في رفقة زمرة كبيرة من الحكماء المشهورين بذكائهم. وفي إحدى الليالي وقد طردت هذه الأفكار النوم من عيني قرّرت الذهاب إلى بابل واستجداء مساعدة أحد المجوس تلاميذ وخلفاء زردشت⁽¹²⁾ لأنني سمعت أن في استطاعتهم، بالعزائم

(12) زرادشت (Zoroastre) (Ζωροάστρης): يكاد يكون رجلاً أسطورياً يعزى إليه تأسيس الدين الزرادشتي في فارس. (ولد نحو 660 ق. م.).

والرقى، فتح أبواب الجحيم وإدخال من يشاؤون إليها وإخراجه منها سالماً. فبدا لي أن أفضل ما أستطيع عمله، إذا تمكنت بوساطة أحدهم من النزول إليها، أن أذهب إلى العراف العليم تيريسياس وأتعلم منه ما هي العيشة الفضلى التي يمكن أن يختارها لنفسه رجل عاقل. فوثبت من سريري وتوجهت رأساً إلى بابل بأسرع ما تستطيعه قدماي. ولدى وصولي إلى هذه المدينة واجهت أحد الكلدانيين وكان حكيماً عجيباً في فنه، أما من حيث المظهر فكان شائباً ذا لحية طويلة مهيبة يدعى ميترو بارسانس، وبعد أن رجوت منه وتوسّلت إليه مراراً ودفعت له الأجرة التي طلبها قبل أن يكون دليلي في الطريق إلى الجحيم. لقد سار بي المجوسيّ إلى الفرات وشرع يغسلني فيه كل يوم عند الفجر مدة تسعة وعشرين يوماً ابتداءً من هلّ الهلال، وكان في الوقت نفسه يتلو إلى الشمس صلاة طويلة كنت لا أسمع منها إلّا القليل، لأنه كان يتكلم بسرعة وغمغمة مثل منادٍ رديء في الألعاب، ولكن كأنه كان يدعو بعض الأبالسة. وبعد الرقية كان يبصق في وجهي ثلاث مرات ثم أعود أدراجي وأنا لا أرى أحداً من الناس الذين أصادفهم. وكان غذاؤنا الثمار وشرابنا الحليب ومزيجاً من الحليب والعسل وماء نهر سوزيان. وكنا ننام مفترشين العشب وملتحفين بالسماء. ولمّا رأى أن هذا الإعداد الطويل أصبح كافياً ذهب بي في منتصف الليل إلى شاطئ دجلة وغسلني ثم نشفني وطهرني بالبخور والعنصل وغيرهما من العقاقير وهو يتمم في تلك الرقية، وبعد أن سحرني كلي بدورانه حولي ليمنع الأشباح من إيذائي عاد بي مهياً على هذا الشكل نكصاً على الأعقاب إلى المنزل،

وبعدئذ أخذنا نهتمّ بما بقي من أمر الإبحار.

لقد لبس هو ثوباً سحرياً يشبه كثيراً ثوب الميديين وقدم لي لتسليحي الأشياء التي تراها، الطربوش وجلد الأسد والقيثارة وأوصاني بأن لا أقول إذا سئلت أن اسمي مينيبل هرقل أو أوليس أو أورفيوس.

فيلونيدس - ولم ذلك يا مينيبل؟ فإني لا أدرك سبب هذا التخفي ولا هذه الأسماء.

مينيبل - مع أنه جليّ واضح وليس ثمة سرّ. لمّا كان هؤلاء الأبطال نزلوا قبلنا وهم أحياء إلى الجحيم فإنه كان يظن أنني بالتشبه بهم أتمكّن بسهولة من التقدّم بدون عائق إذا مررت لابساً هذه الثياب السحرية فأتخلص بذلك من مراقبة إياكوس الذي سبق له أن رأى تلك الثياب.

كان الفجر بدأ يلوح لمّا شرعنا في رحلتنا بعد أن هبطنا شاطئ النهر، وكان قد أعدّ له قارب وضحايا وحليب ممزوج بعسل وكل ما يلزم للإشراكات. وبعد أن أنزلنا هذه المعدات إلى القارب

"وركبنا، والحزن ملء الحنايا،

نذرف الدمع مستفيضاً سخينا"⁽¹³⁾

تركنا القارب فترة من الزمن يسير بنا والمجرى ثم دخلنا في المستنقع حيث يختفي الفرات. وبعد أن اجتزناه وصلنا إلى مكان قفر مشجر لا شمس فيه. فنزلنا هناك،

(13) الأوديسة ن 11.

وكان متروبارسانس يتقدمني. فحفرنا حفرة وذبحنا النعاج وسفحنا الدم على حافاتها. غير أن المجوسّي الذي كان يحمل مشعلاً متقدماً أخذ يدعو لا بصوت خافت بل بكل قواه جميع الشياطين دفعة واحدة "ربات التعذيب والانتقام والليلى هيكاتي والراعبة بيرسيفونى"⁽¹⁴⁾. وكان يخلط أدعيته بكلمات بربريّة غير مفهومة طويلة ذات عدّة مقاطع. وفي الحال تزلزل ما حولنا كلّهُ وتأثير الرقية انشقت الأرض وسمع نباح كرفيروس⁽¹⁵⁾ البعيد، وساد تجمّع محزن في كل مكان.

و"أدنوس العظيم ملك الجحيم

بات في فزع شديد مقيم"⁽¹⁶⁾

وقد تبيّننا قسماً كبيراً من هادس والبحيرة ونهر اللهب⁽¹⁷⁾ (بيريفليجيتون) وقصر بلوتون. ثم نزلنا من الشق المفتوح ووجدنا رادامانتوس⁽¹⁸⁾ يكاد يموت جزعاً وكرفيروس

(14) تحريف بيت من الأوديسة ن 9.

(15) كرفيروس (سربيروس وأبيد) (Cerbère) (Kérberos): كلب هائل ذو ثلاثة أرؤس تتدلى الأفاعي من عنقه. وهو من نسل العملاق تيفون أخى السفانكس والاخذنا التي نصفها نصف امرأة والنصف الآخر حية. مهمته حراسة مدخل الجحيم الداخلي ليمنع الأحياء من ولوج الجحيم وأرواح الموتى من الخروج منها. سحره أورفيوس بأنغامه وأسكته عرافة كوم بإطعامه مخدراً يوم قادت ابني إلى دركات الجحيم لملاقاة والده انشيز وانتزعه هرقل قوة واقتداراً.

(16) الألياذة ن 20.

(17) نهر من اللهب يجري في الجحيم تسع مرات حول مقر العذاب.

(18) رادامانتوس (Rhadamanthe) (Ραδάμανθης): ابن زفس وشقيق =

ينبح وقد هم بالوثوب، ولكني لمست القيثارة وفي الحال استحوذ عليه سحر النغم. ولما وصلنا إلى البحيرة كدنا ألا نجتازها لأن القارب كان قد ملئ ركاباً كانوا ينوحون ويثنون من ألم الجراح مهشمين، فأحدهم فخذة مكسورة والآخر رأسه أو عضو آخر من أعضاء جسده لأنهم كانوا آتين على ما ظهر لي من معركة حربية. غير أن خارون الطيب لما رأى جلد الأسد ظنني هرقل فاستقبلني بترحاب وأمرني ولما نزلنا من القارب أرشدنا إلى الطريق.

وبما أننا كنا نمشي في الظلام، كان متروبارسانس يتقدمني وأنا خلفه ممسكاً بطرف ثوبه حتى بلغنا مرجاً فسيحاً مزروعاً برواقاً، وفيه أخذت أشباح الموتى تحوم حولنا وهي تصرخ صراخاً حاداً وقصيراً. وما أن سرنا قليلاً حتى وجدنا أنفسنا قرب محكمة مينوس. لقد كان جالساً على عرش مرتفع وبالقرب منه ربّات الذعر⁽¹⁹⁾ والانتقام واقفة. وكان الناس يفدون من الجهة الأخرى صفّاً طويلاً مقيدين بسلسلة طويلة. وقيل إنهم زناة وقوادون وعشارون ومملّقون ووشاة، وجمع غفير من نمط هؤلاء الناس الذين يقلقون العالم ويخربونه. أما الأغنياء والمرابون

⁼ مينوس يعتبر مؤسس القوانين والإجراءات الشرعية. عين قاضياً في هادس.

(19) ربّات الذعر والانتقام (إرينيس وفوري) (Ἐρινύες) (Erinnyes): ثلاث أخوات ولدن من دم ساتورن الذي سفكه زفس. وهن أداة الانتقام الإلهي. إحداهن تسيفون كانت تسهر على مدخل برج العذاب ذي الباب الضخم الذي تكتنفه عمد من الماس. والأخريان اليكتون وميجير كانتا مولجتين بالطواف دون انقطاع داخل الترتاروس على الهالكين توسعانهم مر العذاب بجلدهم بسياط من أفاع ومشاعل متقدة.

فكانوا في عزلة يتقدّمون وهم صفر الوجوه، بطونهم بارزة وفي أرجلهم النقرس وفي عنق كل منهم طوق وغل يزن وزنتين، ولبشنا بالقرب من قوس المحكمة نرى ما يجري هنالك ونستمع إلى الدفع. وكان المشتكون خطباء من نوع جديد غير عاديّ.

فيلونيدس - من كان هؤلاء الخطباء؟ نشدتك، باسم زفس، ألا تتردّد في أن تقول لي ذلك أيضاً.

مينيب - أتعرف الظلال التي تنشرها الأجسام المعاكسة للشمس؟

فيلونيدس - بلا شكّ.

مينيب - إذن هذه الظلال أو الأشباح هي التي تشتكي علينا بعد موتنا وتشهد بما صنعنا في حياتنا. ولأنها ترافقنا إلى كل مكان تلازم أجسادنا لا تفارقها ويوثق بها كل الثقة. وكان مينوس بعد التمحيص الدقيق يرسل هؤلاء الآثمين إلى مقرّ الكفرة لكي يعانون هنالك العقاب الذي تستحقّه جرائمهم. لقد كان قاسياً بنوع خاصّ على أولئك الذين يتنفخون عجباً لسلطانهم وثرواتهم حتى كانوا ينتظرون من الناس أن يعبدوهم تقريباً لأنه كان يكره تبجّح هؤلاء الناس السريع الزوال وتكبرهم هم الذين نسوا أنهم سيموتون وأنهم لا يملكون إلاّ أشياء زائلة. أولئك كانوا يقفون، بعد تجريدهم من جميع مظاهر الحياة الخلابة أعني بذلك الثروة والحسب والسلطة، عراة منكسي الرؤوس يتذكّرون وكأنهم في حلم السعادة التي كانوا

يتمتعون بها فيما بيننا، وأنا لدى رؤيتي هذه الأمور كنت أذهل عن نفسي فرحاً حتى إني كنت أدنو بهدوء ممن أعرفه منهم وأذكره بالحالة التي كان عليها في حياته وكيف كان يتنفخ عجباً بنفسه وكبريائه عند خروجه صباحاً إلى جمهور أتباعه الذين كانوا ينتظرونه في صحن الدار وكيف كان خدّامه يدفعونهم ويبعدونهم، وأخيراً كيف كان ينهض بصعوبة كلية ليستقبلهم وهو مرتدّ الثياب القرمزية أو الموشاة بالذهب أو المختلفة الألوان، ظاناً أنه يجعل من يحيونه سعداء ومحظوظين إذا تركهم يقبلون صدره أو يده اليمنى التي كان يمدّها إليهم. فكان هؤلاء المتكبرون يحزنون لدى سماعهم أقوالى.

غير أن مينوس أصدر حكماً فيه شيء من المحاباة إذ ديون⁽²⁰⁾ اتّهم دونيس الصيقلّي بعدة جرائم وخرق قدسيّات أيدتها شهادة ظلّه. فتقدم أريستبوس القوريناّي الذي كان مكرّماً في هادس وذانفوذ عظيم فيها ليدافع عنه، وأنقذه في اللحظة التي كان سيسلم فيها إلى الخيمايرا، بقوله إنه كان حامياً ماهراً لعلماء كثيرين.

ثم تركنا المحكمة ووصلنا إلى محلّ العذاب، وهنا يا صاح لو نظرت لرأيت وسمعت في كل مكان أهوالاً تدعو إلى الشفقة. لقد سمعنا ضجّة السياط وفي الوقت نفسه أنين من كانوا على النار يشوون، وشاهدنا آلات التعذيب والأغلال والعجلات، فالخيمايرا تمزّق وكيرفيروس يلتهم، وكان

(20) ديون (Dion) (Διώνη): بنت أوقيانوس أوتيشوس أو أورانوس وجيا والدة أفروديتي من زفس.

الجميع الملوك والعبيد والقواد والفقراء والشحاذون والأغنياء يعذبون في آن واحد وكلهم كانوا يندمون على جرائمهم. ولَمَّا نظرنا إليهم عرفنا منهم بعضهم، أولئك الذين ماتوا حديثاً، فقد كانوا يخفون وجوههم ويحوّلونها عنا، وإذا نظروا إلينا فبتذل وتضرّع، هم الذين يعلم الإله كم كانوا لا يطاقون وكم كانوا في حياتهم يشمخون بأنوفهم. لقد كانوا يتركون قليلاً ثم يستأنف تعذيبهم من جديد، أما الفقراء فكانت عقوبتهم تنزل إلى النصف. ورأيت أيضاً أشخاص الخرافة اكسيون⁽²¹⁾ وسيسيف⁽²²⁾ وتانتالوس الفريجّي فريسة للألم وتيتيوس ابن الأرض، يا لضخامته يا هيراكليس! إن جسده الممدد كان يغطّي مساحة حقل كامل.

وبعد أن اجتزنا أيضاً مقرّ هؤلاء المحكوم عليهم وصلنا إلى سهل الأخيرون، حيث وجدنا أنصاف الآلهة والبطلات وباقي جمهور الأموات موزعين حسب قومياتهم وقبائلهم. فالبعض كانوا قدامى متعقّنين أبلاء، وكما يقول هوميروس، لا حول لهم، والآخرون حديثين أصلاً، ولا سيما الأموات المصريّون المحفوظون بالتحنيط. ولكن

(21) اكسيون (Ἰξίων) (*Ixiōn): ملك اللايث. رفعه جوبيتر إلى السماء ومنحه الخلود ثم، لحبه هيرا، عوقب في العالم السفلي بأن قيدت يدها وقدماه إلى عجلة نارية مجنحة دائمة الدوران.

(22) سيسيف (Σίσυφος) (Sisyphē): ابن إله الهواء، حكم عليه لأعمال الشريرة بأن يدفع في الجحيم صخرة إلى قمة جبل فما يكاد يبلغ بها القمة حتى تفلت من يديه وتهوي إلى أسفل الجبل وكان عليه أن يعيد المحاولة وهكذا إلى الأبد.

لم يكن من السهل قط معرفة كل منهم. لأنهم لا يلبثون أن يصبحوا شبيهين بعضهم ببعض كل المشابهة عندما تتجرد عظامهم، ولكن لكثرة النظر والتحديق فيهم كنا نتوصل إلى التعرف إليهم. فكانوا مكّسّين بعضهم فوق بعض. نكرات لا يميّزهم شيء ولم يبق عليهم شيء من جمالهم الأرضي. وبما أن الهياكل العظمية الكثيرة كانت ركائماً في موضع واحد، وكلهم متشابهون بنظراتهم الراحبة الفارغة، وأسنانهم الجرداء البارزة، كنت أتساءل في نفسي كيف يمكنني أن أميز ترسيت من نيريوس الجميل أو أيروس الفقير من ملك الفياكين أو بيرياس الطاهي من أغاميمنون إذ لم يبق عليهم أيّ دلالة من الدلائل التي كانت تفرّق بينهم فيما مضى، فعظامهم متشابهة بدون فوارق ولا صفات، لا يستطيع أحد أن يتبينهم.

ولدى تأملي في هذا المشهد كنت أفكّر بأن الحياة البشرية تشبه تطوفاً طويلاً تسيره الفورتونا، ربة الحظ، التي تحدّد تفاصيله وتعيّن لكلّ من الممثلين لباساً مختلفاً ومتنوعاً. إذ تأخذ الناس كيفما اتفق لها فتلبس الواحد ملكاً وتضع على رأسه تاجاً وتجعل له أتباعاً وتعصّب جبهته بإكليل، وتزمل الآخر في ثياب الخادم، وتزيّن الواحد بالجمال وتجعل الآخر قبيح المنظر مضحكاً. لأن المشهد في اعتقادي يجب أن يكون متنوعاً قدر المستطاع. وكثيراً ما شوهدت تنزع في أثناء التطواف ثياب البعض وتحول دون مضيّهم حتى النهاية في الترتيب الذي ربّتهم فيه.

فجردت قارون من ثيابه القرمزية وأجبرته على ارتداء لباس الخادم والأسير. وخلعت على مياندريوس⁽²³⁾ الذي كان يسير، حتى ذلك الحين، في صفّ الخدم طغيان بوليكرات وسمحت له بأن يحتفظ إلى زمن ما بلباسه هذا، وعند انتهاء التطواف يردّ كلّ إنسان عدّته ويتعرّى من ثوبه مع جسده ويرجع إلى ما كان عليه شبيهاً كل الشبه بجاره. فالبعض يتكّدرون لجهلهم ويغضبون عندما تأتي "لافورتونا" لتسترد ما زيّنتهم به كأن ما ينزع منهم ملك لهم ويأبون إرجاع ما أعيروه لمدة من الزمن. أظن أنك رأيت مراراً على المسرح ممثلي المآسي، فمنهم من يمثل مرّة دور كريون وأخرى دور بريام أو أغاميمنون. فالرجل الواحد الذي كان قبل ذلك بقليل بعظمة وكبرياء سيكروبس أو أريختي يظهر عند الاقتضاء وحسب أمر الشاعر بثوب الخادم، وعند انتهاء الرواية يخلع كلّ واحد من الممثلين هذا الثوب المزخرف بالذهب وينزع قناعه وحذاءه المسرحي ويعود رجلاً عادياً متواضعاً فليس هو أغاميمنون بن أترى، ولا كريون بن ميناس، بل هو بولس اسمه الحقيقي ابن شاركليس من سونيون أو ساتيروس⁽²⁴⁾ بن تيوجيتون من ماراتون. فهذا هو وضع البشر وهذه هي الفكرة التي كوّنتها وأنا أشاهد الأموات.

(23) مياندريوس (Μεάνδριος) (Méandre): أمين سر بوليكرات الذي قتل عام 522 ق. م. وخلفه كطاغية على ساموس.

(24) ممثل شهير.

فيلونيدس - قل لي يا مينيبي أليس لأولئك الناس الذين لهم في الأرض قبور فخمة مرتفعة ذات مسلات وصور ونقوش اعتبار في الجحيم أكثر مما لعامة الناس؟

مينيب - إنك تهرف يا صاح، لو رأيت موزول نفسه وأعني به الكاري الذي صيره قبره مشهوراً، فأنا أعتقد أنك ما كنت لتكتفَ زمناً طويلاً عن الضحك لو رأيته في ذلك الموضع الضنك الذي ألقى فيه حقيراً نكرة في عالم الأموات. في رأيي إن الفائدة كلها التي جناها من هذا الأثر أنه يزرح تحت العبء الفادح. فيا صاح عندما إياكوس يقيس لكل واحد مكانه فإن أقصى ما يعطيه طول قدم ويجب عليه أن يكتفي به ويظل مضجعاً ومنطوياً ليكتفَ نفسه بالنسبة إلى القياس. ولكني أعتقد أنك كنت ضحكت أكثر أيضاً لو أنك رأيت الذين هم ملوك ومرازية في هذا العالم يستعطون هناك ويبيعون الملوحات من بؤسهم أو يلقنون مبادئ القراءة يهينهم عابر السبيل ويصفعهم على رأسهم كما يصفع أرذل العبيد. لقد شاهدت فيليبس المقدوني، ولم أستطع أن أملك نفسي من الضحك لأنني رأيته في زاوية صغيرة يخطط لقاء أجرة حذاءً بالياً. يمكن مشاهدة كثيرين غيره وهم يستعطون في مفارق الطرق وأعني بهم أمثال زارش⁽²⁵⁾ وداريوس وبوليكرات.

(25) زارش (كسيركسس) (Xerxès) (Ξέρξης): أحد ملوك فارس (486 - 465 ق. م.). اجتاحت بلاد اليونان وخرب أثينا غير أنه غلب في معركة سلامين وارتد خاسراً إلى آسيا.

فيلونيدس - إن ما تقوله عن الملوك غريب يكاد لا يصدق. ولكن ماذا كان يصنع سقراط وديوجين والحكماء الآخرون؟

مينيب - إن سقراط يتمشى هناك كما كان يفعل هنا وهو يجادل ويناقش كل الناس، يرافقه بالاميد وأوليس ونسطور وغيرهم من الأموات الثرارين. فخذاه كانتا لا تزالان ورمتين متفتحتين بسبب السم الذي شربه. أما ديوجين الجريء فهو يقيم بالقرب من الآشوريّ سردنبال والفريجيّ ميداس وغيرهما من الأغنياء يضحك ويهزأ بهم كلما سمعهم ينوحون ويتأوهون ويتذكرون سعادتهم الماضية وكثيراً ما يغني وهو ملقى على ظهره بصوت شديد أجش يفوق تأوهمهم ونحيبهم فيضجرهم حتى إنهم يبحثون عن مقر آخر لهم لأنه لا يبقى في إمكانهم تحمّل ديوجين.

فيلونيدس - بهذا الكفاية. ولكن ما هو القرار الذي اتخذ بحق الأغنياء والذي تكلمت عنه في بدء الحديث؟

مينيب - لقد أحسنت بتذكيري به لأنني لا أدري كيف حدث بعيداً عن موضوعي بعد أن قررت أن أتكلّم عنه. أثناء وجودي في هادس دعا البريتان⁽²⁶⁾ إلى عقد جمعية للنظر في قضايا تهّم الجمهورية. ولما رأيت جمهوراً كبيراً يسرع إلى الاجتماع اختلطت بالأموات وأصبحت أثناء انعقاد الجلسة أحد أعضاء الجمعية التي نظرت في عدة قضايا وانتهت إلى قضية الأغنياء الذين اتهموا بعدد كبير

(26) بريتان (Πρύτανις) (Prytane): القضاة الرئيسيون أو شيوخ القبيلة.

من الجرائم الشنيعة، بالعنف والصلف والتجبر والظلم،
فنهض آخر الأمر أحد المتحزبين المتعصّبين للشعب وتلا
القرار التالي:

القرار

"لَمَّا كَانَ الْأَغْنِيَاءُ قَدْ ارْتَكَبُوا فِي حَيَاتِهِمْ كَثِيرًا مِنَ الْأَعْمَالِ
الْمُخَالَفَةِ لِلْقَوَانِينِ كَالسَّلْبِ وَالْغُصْبِ وَالْإِهَانَاتِ مِنْ جَمِيعِ
الْأَنْوَاعِ بِحَقِّ الْفُقَرَاءِ، فَلِيَحْسُنَ، لَدَى الْمَجْلِسِ وَالشَّعْبِ، أَنْ
تُعَاقَبَ أَجْسَادُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ كَسَائِرِ الْمَجْرُمِينَ الْآخَرِينَ وَتُرَدَّ
أَرْوَاحُهُمْ إِلَى الْأَرْضِ فَتَدْخُلَ فِي الْحَمِيرِ وَتَظَلَّ هُنَاكَ مِثَّتَيْنِ
وْخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ تَتَقَلَّ مِنْ حِمَارٍ إِلَى حِمَارٍ يَحْمِلُونَ الْأَحْمَالَ
وَيُسَوِّقُهُمُ الْفُقَرَاءُ وَهُمْ يَنْخَسُونَهُمْ بِالْمَنْخَسِ وَبَعْدَ ذَلِكَ يُسَمَحُ
لَهُمْ بِأَنْ يَمُوتُوا. هَذَا هُوَ اقْتِرَاحُ كَارِينُونَ ابْنِ سَكُولِيْتُونَ مِنْ
نِيكِيْزِي مِنْ قَبِيلَةِ الْيَانْتِيدِ"⁽²⁷⁾.

وبعد تلاوة هذا القرار طرحته السلطات على التصويت
فأقرّه الشعب وزمّجرت بريمو ونبّح كرفيروس لأن العادة أن تقرّر
القوانين ويصادق عليها على هذه الصورة.

هذا ما كنت أريد أن أقوله عن الجمعية. ومضيت أنا إلى
الغاية التي من أجلها سافرت فبحثت عن ترسياس حتى وجدته
ورجوت منه بعد أن سردت عليه كل قصّتي أن يعلمني ما هي
أفضل عيشة حسب رأيه. فأخذ يضحك، (إنه كهل صغير أعمى
شاحب اللون ضعيف الصوت)، ثم أجابني "يا بنيّ إني أعرف
سبب ارتيابك وحيرتك، ومرّد ذلك إلى عدم اتفاق الحكماء

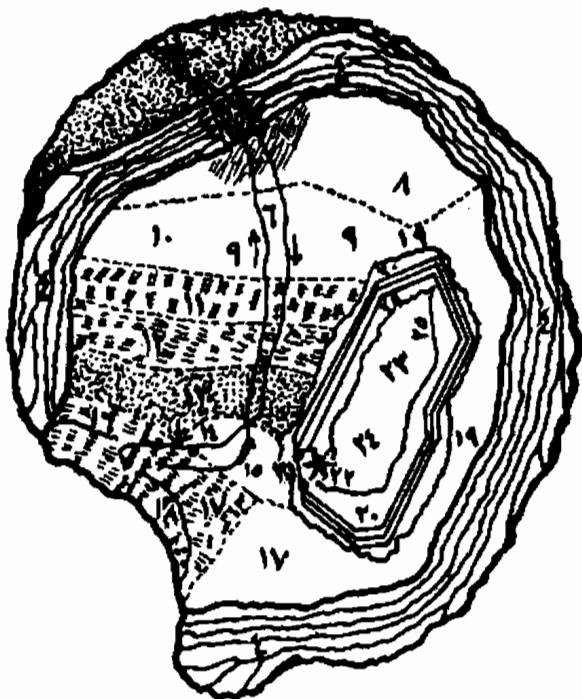
(27) كَارِينُونَ (جمجمة) سَكُولِيْتُونَ (هيكل عظمي) الْيَانْتِيد (أموات): جميع
هذه الكلمات تذكر بالأموات وما يتعلق بهم.

فيما بينهم، ولكن من غير المسموح به أن يقال أكثر من ذلك، فرادامانتوس يمنع هذا". فقلت له: "لا تكن كتوماً إلى هذا الحد يا أبت بل أجبنني ولا تدعني أعود إلى الحياة وأنا أشد عمى منك". عندئذ أخذني بعيداً عن الآخرين وانحنى قليلاً وأسرّ في أذني قائلاً: "عيشة الجهلاء هي الأفضل والأحكم. فأقص عنك الرغبة الجنونية في تعليل الظواهر السماوية والتدقيق في الغايات والمبادئ، واحقر هذه القياسات المعقدة واعتبر ذلك كله ثثرة باطلة ولا تبحث في كل الأمور إلا عن شيء واحد ألا وهو استخدام الحاضر استخداماً حسناً والتمتع به ودع أكثر الحوادث تعبر وأنت تضحك، ولا تنظر إليها نظرة جدية". وبعد أن تكلم هكذا انسحب إلى سهل أسفوديل⁽²⁸⁾.

وأما أنا فلما رأيت أننا تأخرنا، قلت لمتروبارسانس⁽²⁹⁾: "لم بقاؤنا هنا، ولم لا نعود إلى عالم الأحياء؟". فأجابني: "هدئ روعك يا مينيبي، إنني سأرشدك إلى طريق قصيرة وسهلة". وعندئذ جاء بي إلى مكان أشدّ ظلمة وأشار لي بيده إلى خط نور بعيد ضئيل يتسرب إلى داخل الجحيم تسربه من ثقب شبّاك وقال لي: "هذا هيكل تروفونيوس، ومن هناك يهبط البيوسيون، فاصعد من هناك فلا تلبث أن تصبح في بلاد اليونان". فسحرت بما قال وحييت المجوسي وبعد أن حبوت بصعوبة كبرى في ذلك النفق وجدت نفسي، ولا أدري كيف، في ليبادي.

(28) أسفوديل (Asphodèle) (‘Ασφοδελός): تلميح إلى الأوديسة ن. 11/ب 315 – 316.

(29) متروبارسانس (Μέτροβάρανης) (Métrobarsanés): شخص وهمي أو مجهول.



تصميم الجحيم

كما تخيلها فرجيل في الكتاب السادس من أنيادته

تصميم الجحيم كما تخيلها فرجيل في الكتاب السادس من أنياذته

رقم

- 1 - مدخل الجحيم الخارجي.
- 2 - مدخل الجحيم الداخلي.
- 3 - الشاطئ حيث تهيم مدة مئة عام أرواح الموتى الذين لا تدفن أجسادهم.
- 4 - نهر الستيكس (راجع في الفهرس كلمة ستيكس).
- 5 - زورق خارون نوتي الجحيم (راجع كلمة خارون).
- 6 - الطريق التي سلكها في الجحيم بطل الإنياذة إيني ذهاباً وإياباً.
- 7 - المستنقع مقر كرفيوس (راجع كلمة مستنقع).
- 8 - مقر الأطفال الذين ماتوا عند ولادتهم.
- 9 - مقر الأبرياء الذين حكم عليهم بالموت.

- 10 - مكان محكمة مينوس قاضي الجحيم (راجع مينوس).
- 11 - مقر التعساء المنتحرين.
- 12 - سهل الدموع حيث يهيم الذين أشقوا الغير بحبهم
دون مبادلة في الحب.
- 13 - مقر المحاربين.
- 14 - باب قرنيّ.
- 15 - باب عاجيّ.
- 16 - نهر النسيان ليثي (راجع كلمة ليثي).
- 17 - مقر السعداء، النعيم، الشانزليزيه⁽³⁰⁾ (راجع
شانزليزيه).
- 18 - نهر اريدان.
- 19 - نهر الفليجيتون يجري حول الترتار جارفاً سيولاً من
لهب وصخور.
- 20 - أسوار ثلاثة تحوط الترتار.
- 21 - بوابة مدخل "الترتار" مقرّ عذاب الأشرار الهالكين
وعلى جانبيه عمود ضخّم من الألماس.
- 22 - برج من حديد تقيم فيه تيسيفون إحدى ربّات الذعر
"فوري، إرينيس" ساهرة تحرس مدخل الترتار (راجع

(30) الشانزليزيه (مقر النعيم) (Elysée) (Ἠλύσιον): مقر الصالحين، رياض
مشرقة وغابات سرمدية الاخضرار تهيمن على السهول البعيدة القرمزية
الأضواء النقية الأنسام.

ربات الذعر).

23 - الترتار مقرّ عذاب الهالكين.

24 - مقرّ رادامانثوس (راجع رادامانثوس).

25 - نهر الكوسيت الذي يفيض بدموع الهالكين النادمين
بعد فوات الأوان.

الثبت التعريفي

أبيقوروس (Ἐπίκουρος) (Epicure): فيلسوف يوناني (341 – 270 ق. م.) علم أن الخير الأسمى للإنسان هو اللذة، واللذة عنده، لا عند تلاميذه، في تهذيب العقل وممارسة الفضيلة.

إتنا (Αἴτνη) (Etna): بركان في القسم الشمالي الشرقي من صقلية كان يعتقد أنه مقر الإله فولكان.

إفرذيكي (Εὐρυδίκη) (Eurydice): زوجة أورفيوس الأمانة.

أنوبيس (Ἄνουβις) (Anoubis): أحد آلهة المصريين، له جسم إنسان ورأس ابن آوى.

أولمب (Ὀλύμπος) (Olympe): جبل في تساليا اعتقد الأقدمون أن آلهة السماء تعيش على قمته.

ايريدان (Ἠριδανός) (Eridan): اسم قديم لسهل البو في شمال إيطاليا.

إلييريا (Ἰλλυρία) (Illyrie): مقاطعة على الساحل الشرقي
من بحر الأدرياتيك.

إيليفثيرا (Ἐλευθεραὶ) (Eleuthères): مدينة صغيرة على
حدود بيوسيا والاتيك.

إيليفسيس (Ἐλευσίς) (Eleusis): قرية في الشمال الغربي
من أثينا فيها هيكل لكيركي.

ايولوس (Ἰόλεως) (Iolaos): ابن أفيكلوس، ساعد هرقل
على قتل تنين ليرنا. تزعم الخرافة أن إيبى بنت جونون وجوبيتير
جددت شباب ايولوس.

بارثيون (Σκύθαι) (Scythes, Parthes) (سكيثية): قبيلة
سكيثية (سقيثية) عاشت قديماً في خراسان. لم يقو الرومان على
إخضاعها.

باكترا (Βάκτρα) (Bactres): عاصمة الباكتران في آسيا
الوسطى الموزعة بين تركستان وإيران.

بروميثيوس (Προμηθεύς) (Prométhée): ابن التيتان
إيبايتوس والربة ثيميتيس. لسرقته ناراً من الأولمب وإعطائها إلى
الإنسان، عاقبه دوبيتير بأن يوثق إلى صخرة فوق جبل القفقاس
وكان يأتي نسر في النهار يقات بكبده التي كانت تنمو في الليل.

بسيخي (Ψυχή) (Psyché): كانت بنت ملك أرضي لا مثيل
لجمالها الرائع حتى إن فينوس نفسها غارت منها فاضطهدتها

واضطرتها إلى الهبوط إلى الجحيم لتأتي لها من عند بيرسيفوني
إلهة الجحيم بصندوق مساحيق حظر عليها فتحه غير أن بسيخي
فتحته فخرج منه دخان صبيغ جلدها بالسواد ولم يرجع لونها إليها
إلا بأعجوبة من جوبيتير نفسه. تشاهد في اللوحة وهي راكبة في
زورق خارون نوتي الجحيم.

بولوكس (بولوديوكيس وبوليذيفكيس) (Pollux)
(Πολυδευκης): ابن جوبيتير وليدا. بطل خرافي.

بيرام (Πύραμος) (Pyrame): أحب بيرام تيسبه فحال
ذووهما دون زواجهما فتواعدا على اللقاء ذات مساء في طريق
منعزلة عند شجرة توت أبيض، وجاءت تيسبه أولاً عليها غطاء
أبيض وبينما هي واقفة جاءتها لبوء دامية الفم ولما رأتها تيسبه
هربت وسقط غطاؤها الأبيض، فانتقمت اللبوء فمزقت الغطاء
ولطخته بالدم ومضت في سبيلها، ولما جاء بيرام شاهد الغطاء
مزقاً مدمى فظن أن وحشاً افترس تيسبه فطعن نفسه بسيفه. وفيما
هو يجود بنفسه عادت تيسبه إلى حيث تواعدت مع بيرام. ولما
شاهدته على تلك الحال طعنت نفسها بسيفه وارتوت التوتة من
دمائهما، ومنذ ذلك الحين اصطبغ التوت باللون الأحمر.

بيرة (Περαιεύς) (Pirée): مرفأ أثينا.

بيليروفون (Βελλεροών) (Bellérophon): ابن ملك
كورنثس قتل رجلاً أثينياً وهرب إلى برويتوس ملك تيرونس
فأحبته الملكة ولما رفض مطالبيها سعت به لدى زوجها فأرسله
إلى حميه ملك لوكيا ليقتله فطلب هذا إليه أن يقتل الخيمايرا فقتلها.

بيليوس (فيلا) (Πηλεύς) (Pélée): ابن هيكاتي، نصب ملكاً على مملكة الفتيوتيد. رزق من زواجه بعروس البحر ثيتيس ابنة العظيم آخيل.

بيوتيا والنسبة إليها بيوتي (Βοιωτία) (Béotie): مقاطعة في بلاد اليونان عاصمتها ثيبة.

بيونيا والنسبة إليها بيوني (Παιονία) (Paeonie): مقاطعة في شمال مقدونيا.

بتوذور (Πτοιδωρος) (Ptæodore): اسم شخص مجهول أو وهمي.

برسيوس (Περσεύς) (Persée): ابن زفس ودناي.

بروتيسيلانوس (Πρωτεδύλαος) (Protésilas): أحد أبطال تساليا. أول محارب يوناني وطأت قدماه أرض طروادة، قتله هيكتور. أعاده هرميس إلى قيد الحياة وسمح إله الجحيم بأن تراه زوجته لاوداميا التي صنعت له تمثالاً من شمع أولته عظيم رعايتها حتى إن والدها أكاستوس أضرم فيه النار فألقت لاودميا بنفسها في النار وهكذا لحقت بزوجها إلى العالم السفلي.

بروسياس البيثيني (Προνδίας) (Prousius): ملك بيثينيا.

بلاميد (Παλαμήδης) (Palamède): ملك أوبيه. اشترك في حرب طروادة. يقال إنه اخترع لعبة الشطرنج والنرد والقرص.

بيغازوس (Πήγας) (Pégase): جواد مجنح، خلق من

دم ميدوسا عندما قطع بيرسيوس رأسها فطار بمجرد ولادته إلى السماوات وانضم إلى الآلهة. أعطت أثينا بيليروفون لجاماً ذهباً استطاع بواسطته أن يلجم بيغازوس الذي أسلس له قياده حتى ركبه وطار به في الهواء، وبواسطته تمكن من قتل الخيمايرا.

تيربسيون (Τερψίων) (Terpsion): شخص مجهول أو وهمي.

تيرو (Τυρῶ) (Tiro): إحدى بنات الإله البحري نيريوس من شقيقته دوريس، المعروفات بالنيريد الجميلات البالغ عددهن الخمسين.

تيساليا (Θεσσαλία) (Thessalie): مقاطعة يونانية جنوب مقدونيا.

ثراسكلييس (Θρασκλής) (Thrasklès): شخص مجهول أو وهمي.

خارياد (Χαριιάδης) (Khariade): شخص مجهول أو وهمي.

خربق (Ελλέβορος) (Ellébore): اسم لنبات.

خيرون (Χείρων) (Chiron (centaure)): ابن ساتورن وفيلير. ستور (قنطروس وقنطوري) نصفه الأعلى نصف رجل والنصف الأسفل حصان بدون عنق. اشتهر بتربية وتثقيف عدد من مشاهير الأبطال كبيليوس وأخيل وجازون ونستور وهيوليت

وأوليس وكاستور وايني. كان يجيد الصيد والرياضة والعرافة والطب. مات متأثراً من جرح بسهم مسموم.

ذيوميد (Διομήδης) (Dionède): ملك خرافي لتراقيا اشتهر بقسوته إذ كان يغذي خيله بلحوم بشرية. جاء هرقل فأطعمها لحم سيدها.

روافيون (Περὶπατητικοί) (Péripatéticiens): نسبة إلى الرواق حيث كان يجتمع الفيلسوف زينون إلى تلاميذه. اشتهر بالدعوة إلى الحزم والتقشف والصمود في المصائب والصبر عليها. تقوم فلسفته على أن الخير الأسمى هو في الجهد والخضوع لسلطان العقل وحده وعدم المبالاة بالظروف الخارجية كالثروة والصحة والألم.

سكيثيون (Σκύθαι) (Scythes): قوم رحّل كانوا يقطنون شرق أوروبا وشمال غرب آسيا.

سيرينيس (Σειρήνες) (Sirènes (Erinnyes)): بنات فوركوس أو أخيلوس وربما بنات ربّات الفن. كان يظن أن لهؤلاء الأخوات مركزاً فوق حاجز خطير وسط البحر حيث كن يجذبن المسافرين بأناشيدهن اللطيفة الساحرة وبذلك يسقنهم إلى الموت. كن يصوّرُن في هيئة طيور مجنحة لهارأس وذراعان وصدر امرأة ويصورن أيضاً في هيئة نساء ذوات أجنحة وسيقان طيور.

غادس (Γάδερα) (Gadés): مدينة إسبانية تدعى اليوم كاديكس.

غرانيكوس (Γρανικός) (Granique): نهر صغير في آسيا الصغرى بالقرب منه تغلب الإسكندر على داريوس.

فليسباس (Βλεψίας) (Blepsias): شخص مجهول أو وهمي.

فورتونا (Μοίρα) (Fortune): ربة رومانية للمصادفة المحظية وغير المحظية تدير شؤون البشر والكرة الأرضية.

فولكان (Ηφαιστος) (Vulcain): ابن جوبيتر وجونون وهو إله النار، ولد أعرج وقبيح المنظر فألقت به أمه إلى العالم الأرضي فتلقته ثيتيس واعتنت به. كان يعمل في السماء حيث اشتغل مركبة الشمس والمدينة الأولمبية التي صنعها من الفولاذ الصلب وهو الذي علّم الناس استعمال المعادن وكان يعطي الحياة للتماثيل التي يصنعها. وصنع لآخيل سلاحه بناءً على رجاء ثيتيس.

قيثرون (Κιθαιρών) (Cithéron): جبال على حدود بيوتيا والآيتك.

كبادوكيا (Καππαδοκία) (Cappadoce): مقاطعة في آسيا الصغرى غرب أرمينيا.

كرانيون (Κράνειον) (Cranieon): اسم علم لمكان.

كلدانيون (Χαλδαῖοι) (Chaldéens): قوم كانوا يقطنون ناحية شط العرب في العراق. اشتهروا قديماً بمعارفهم في

علم الهيئة لكنهم أساءوا استعمال تلك المعارف بتطبيقها على التنجيم والعرافة فذاع صيتهم كعرافين.

كير (Cyres) (Κύρης): اسم علم لمكان.

كيركي (Circé) (Κίρκη): ابنة هيليوس وبيرسي. ساحرة قيل إنها كانت تقطن جزيرة ايايا التي بلغها أوليس وشرب بعض رجاله من شراب سحرته كيركي فتحولوا إلى خنازير كما أنها حولت الحورية بسكولا إلى وحش مخيف نباح.

كيفالوس (Céphale) (Κέφαλος): ابن هرميس وهيرسي تزوج فتاة جميلة تدعى بروكريس قتلها خطأ بسهم.

لايرتيس (Laerte) (Λαέρτης): ملك اثاكنيا ووالد أوليس (أوديسس).

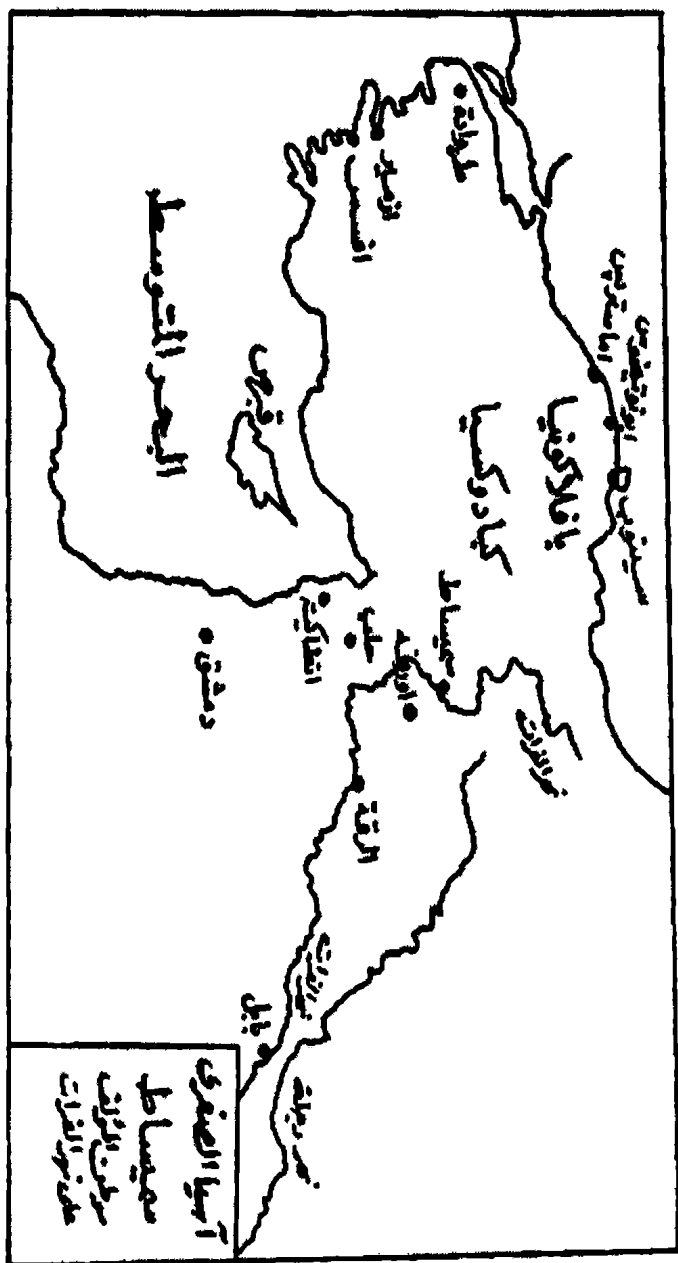
مانتينيا (Mantinée) (Μαντίνεια): مدينة في أركاديا.

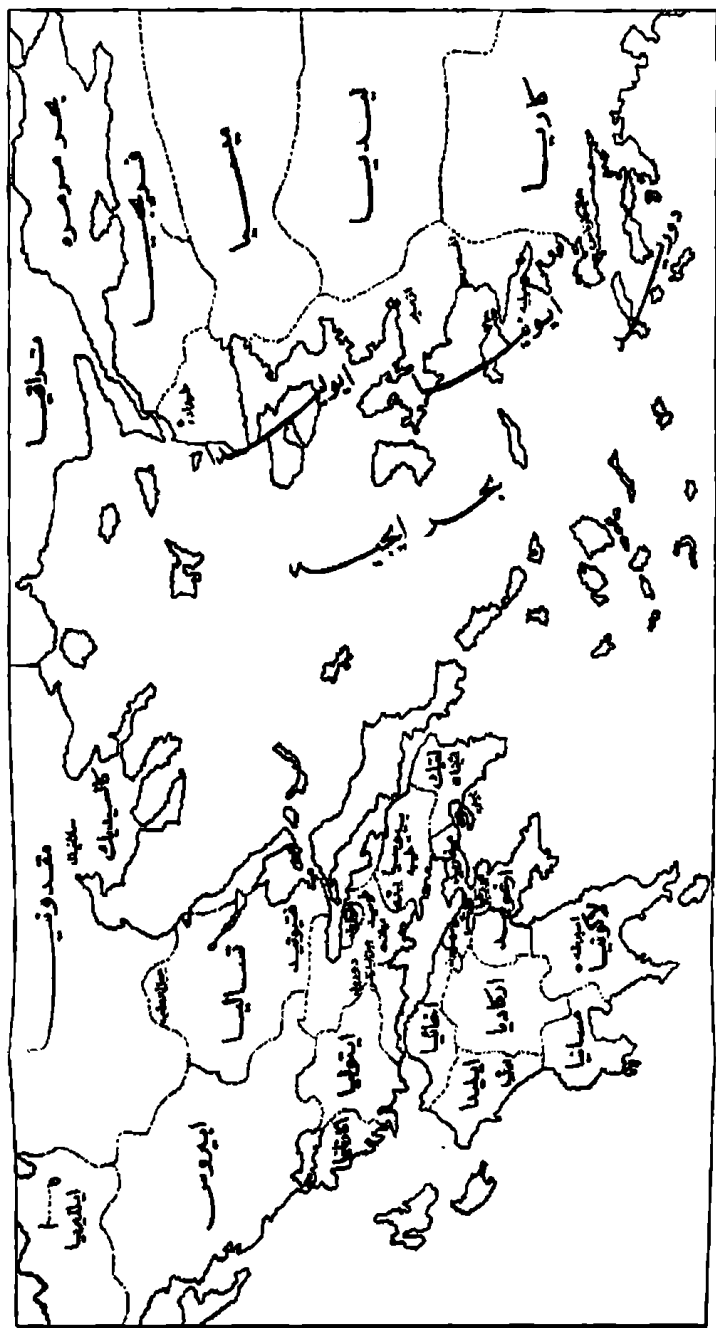
ميدوسا (Méduse) (Μέδουσα): حيوان قبيح المنظر شعره من ثعابين ما رآه أحد ألا تحول إلى حجر، وكان من قبل فتاة جميلة وهي إحدى الجورجونيس، فاخرت الآلهة بجمالها فمسختها أثينا، استطاع بربسيوس أن يقطع رأسها ومن دمها خلقت بيغازوس.

نسطور (Nestor) (Νέστωρ): ملك بيلوس وشيخ الأمراء الذين حاصروا طروادة. اشتهر بحكمته وخطبه الطويلة.

نيسوس (Nessus) (Νέσσος): نيسوس قنطروس (راجع

خيرون) اعتاد أن ينقل المسافرين من ضفة نهر إيفينوس عند سفح جبل أوتا إلى الضفة الأخرى. ولما وصل هرقل وزوجته ديانيرا إلى هناك عرض نيسوس عليهما خدماته وحمل ديانيرا عبر الماء وحاول خطفها والهرب بها فرماه هرقل بسهم فأصابه وأرداه، وقبل أن يلفظ نيسوس نفسه الأخير أعطى ديانيرا رداءه الملطخ بدمه السام وقال لها إن هذا الرداء يعيد إليها حب زوجها لها كلما خانها. وفي إحدى مناسبات تقديم الذبائح أرسلت ديانيرا الرداء إلى هرقل وتسببت في موته ولما علمت بما صنعت انتحرت.





خريطة بلاد الشام

الفهرس

الفوتيد وثيتيس الآلهة): 66،

91، 116، 145، 146، 147

أرسطو (أعظم فلاسفة

اليونان ورأس الحكماء

المعروفين بالمشائين ويعرف

بالمعلم الأول): 15، 104،

109

أريستوبوس (تلميذ سقراط

ومؤسس المدرسة القورينائية

وزعيم المذهب القائل بأن

اللذة أساس السعادة): 120،

184

أغاميمنون (ملك ميسينا

وأرغوس وقائد اليونانيين

في حرب طروادة): 89، 90،

أ-

أريستاس (اسم شخص

وهي أو مجهول): 61، 62،

أياسنت (ابن بيروس وكليو

اشتهر بجماله): 65

إياكوس (ابن جوبيتير

وأوروبا): 75، 103، 115،

116، 117، 118، 119، 121،

180، 188

أبولون (ابن جوبيتير ولاتون.

وهو إله النور والحرارة): 52،

117، 157، 166

الأبيقورية: 24

آخيل (ابن بيليوس ملك

ملك بيلوس وشيخ الأمراء
الذين حاصروا طروادة):
147، 146، 145

أياس (أحد كبار قادة اليونان
في حرب طروادة): 89، 90،
116

-ب-

باخوس (ابن جوبيتر
وسيملي، وهو إله الخمرة):
143، 142

بروتيسيلوس (أحد أبطال
تساليا. أول محارب يوناني
وطأت قدماه أرض طروادة):
79، 78، 77

بلوتون (إله الجحيم): 45،
46، 47، 53، 54، 55، 71،
74، 77، 78، 79، 115،
159، 160، 161، 174، 181

بوليفيكس (بطل خرافي.
ابن جوبيتر وليدا): 123،
124، 125، 126

بيرسيفوني (بنت ديميتر أو
سيريس، آلهة الخصب مع

91، 116، 186، 187

أفلاطون (من مشاهير
فلاسفة اليونان. تلميذ
سقراط وأستاذ أرسطو):
15، 25، 34، 36، 39، 120

الآشوريون: 46، 189

الإسكندر (الإسكندر
الكبير ذو القرنين الشهير
في التاريخ): 21، 37، 101،
102، 103، 104، 107،
108، 109، 112، 139،
140، 141، 142

أمفيلوخوس (كانت له
قدرة على التنبؤ، وأحد
الذين اشتركوا في الحرب
الطروادية): 167، 168

أمون (إله المصريين
الأقدمين): 101، 102،
108، 139، 141، 142

أنثيستينوس (مؤسس
المدرسة الكلية): 29، 149،

151

أنتيلوخوس (ابن نستور

أخيها جوبيتير. وهي زوجة
بلوتون إله الجحيم): 47،
181، 79، 77

الرومانية.): 27، 30، 35،
55، 64، 86، 119، 121،
136، 142، 150، 170

بيريفرينوس (فيلسوف كلبّي
روماني): 17، 18، 30، 37

-خ-

خارون (ابن الليل، إله هرم
شجيج ينقل بزورقه أرواح
الموتى من ضفة الستيكس
إلى الضفة الأخرى في عالم
الآخرة لقاء أجر على أن لا
يقبل النول عن أبول): 20،
25، 26، 36، 49، 50، 51،
64، 73، 74، 75، 76، 97،
129، 182، 193

خيرون (هو الإنسان المقيّد
بالغريزة الحيوانية، وهو الذي
ينزل إلى الجحيم): 97، 98،
145

-د-

ديموستين (أحد أشهر خطباء
أثينا): 15، 22، 39

ديوجين (أحد الفلاسفة
الكلبيين): 29، 34، 61، 62،
63، 70، 85، 86، 87، 101،

-ت-

تانتالوس (ملك ليديا): 93،
94، 95، 185

تيثون (ابن لاوميدون،
ملك فريجيا. أحد مؤسسي
طروادة): 58

تيربسيون (شخص مجهول أو
وهمي): 159، 160، 161،
162

تيرسيت (أحد المحاربين
الإغريق أمام طروادة وهو
معارض من الرعاع): 155،
156

-ج-

جوبيتير (ملك الآلهة
الرومانية وإله السماء
والبرق في الميثولوجيا

102، 103، 104، 123، سقراط (فيلسوف يوناني
124، 125، 126، 127، عظيم ولد في أثينا وعلم فيها.
149، 150، 151، 153، 189، أسلوبه عامي يتتبع السؤال
والجواب): 26، 29، 69،
-ذ-

ذامنيب (شخص مجهول أو وهمي): 81، 82
سوسترات (رجل وهمي أو مجهول): 163، 164، 165

ذيميتير (بنت ساتورن وريا، ربة الزرع والخصب): 77
-ز-
سييون (قائد روماني انتصر على هنيبل في معركة زاما):
107، 112

-ش-
زينوفانت (شخص مجهول أو وهمي): 57، 58
الشص: 36، 82، 153

-س-
-ف-

سردنبال (رجل خرافي ضرب به المثل في الخلاعة والتخنث لشدة انغماسه في الملذات):
31، 45، 47، 116، 121،
189

السفسطائيون: 15، 20، 21،
22، 23، 24، 30، 40، 70،
109، 165
الفلاسفة الكليتيون: 17، 18،
19، 25، 29، 30

السفسطة: 15، 16، 17، 18،
19، 22، 23، 40
فيلونيدس (شخص وهمي أو

من عنقه): 69، 70، 71،
103، 115، 175، 181،
190، 193

كليارك (قائد من إسبارطة):
140

كنيمون (شخص مجهول أو
وهمي): 81، 82

-م-

مبدأ أبيقوري: 24

الممخرقة: 168

الممخرقين: 24، 31، 133

موزول (ملك كاريا من عام
353 - 377 ق.م): 31، 85،
86، 87، 188

ميداس (الملك ميداس) في
الميثولوجيا الإغريقية هو
ملك كان له قدرة على تحويل
أي شيء يلمسه إلى ذهب):
31، 45، 47، 116، 189

مينوس (ابن زفس وشقيق
رادامنتوس. اشتهر بحكمته
وعدله وقدرته على سن

مجهول): 173، 174، 175،
176، 180، 183، 188، 189

فيليس (ملك مقدونيا ووالد
الإسكندر): 101، 102،
107، 139، 141، 142، 188

-ق-

قارون (آخر ملوك ليديا
في الجزء الغربي من آسيا
الصغرى عاش في الجليل
السادس ق. م. ضرب به
المثل بالغنى والثروة الطائلة):
31، 45، 46، 116، 121،
187

-ك-

كالذييميد (شخص وهمي أو
مجهول): 57، 58

كراتيس (فيلسوف يوناني
عاش في القرن الرابع
قبل الميلاد. كان تلميذاً
لديوجين): 61، 62، 63،
149، 150، 151

كرفيروس (كلب هائل ذو
ثلاثة أرؤس تتدلى الأفاعي

-ن-	القوانين: 107، 108، 110،
نركيسوس (ابن إله النهر):	112، 116، 163، 164،
68، 65	165، 182، 183، 184، 194
نيريوس (ملك ساموس.	مينيب (فيلسوف فينيقي
أجل شاب بعد آخيل): 65،	ينتمي إلى المدرسة الكلية):
186، 156، 155	20، 24، 25، 26، 29، 30،
-ه-	35، 36، 45، 46، 47، 65،
هنيعل (قائد قرطاجي من	66، 67، 69، 70، 73، 74،
أعظم رجال الحرب): 107،	75، 93، 94، 97، 98، 99،
112، 110، 108	115، 116، 117، 118، 119،
هيرموتيموس (بطل من	120، 121، 123، 130،
أبطال المحاورات): 13، 20،	133، 134، 135، 136،
36، 23	155، 156، 167، 168،
هيكاتي (ربة الأشباح): 75،	169، 171، 173، 174،
181، 124	175، 176، 180، 183،
	188، 189، 191

أنجزت المطبعة الكاثوليكية في بيروت
طبع هذا الكتاب في الخامس عشر
من شهر حزيران سنة 1967

Commission internationale pour la traduction des chefs-d'Œuvre, constituée par accord de l'unesco avec le gouvernement libanais, intervenu le 6-9 décembre 1948:

Dr. Edmond Rabbath, président

Dr Fouad E. Boustany, secrétaire général

M. J. h. Grimes, trésorier

M. Abdallah Machnouk

Dr Jamil Saliba

M. Nikita Elisséeff

Collection Unesco D'œuvres Représentatives

Série arabe

ΛΟΥΚΙΑΝΟΥ

ΝΕΚΡΙΚΟΙ ΔΙΑΛΟΓΟΙ

ΚΑΙ ΜΕΝΙΠΠΙΟΣ

LUCIEN

DIALOGUES DES MORTS

ET MÉNIPPE

Traduction arabe avec introduction et notes

Par

Elias Saad Ghali

COMMISSION INTERNATIONALE
POUR LA TRADUCTION DES CHEFS-D'ŒUVRE
BEYROUTH

1967

**TOUS DROITS RÉSERVÉS
POUR TOUS PAYS**

**Copyright by
Commission internationale
pour la traduction des chefs-d'œuvre
B. P. 1145, Beyrouth (Liban)
1967**

مسامرات الأموات

واستفتاء مَيّت



امتلك لوقيانوس مقاليد البلاغة وأحس بهمس
«الفلسفة (تخاطبه): «إن هذه المهنة مجلبة للحقد
والبغضاء ... قسماً بهرقل!» فما كان من بد عنده إلا
أن يُجيب مخاطباً ((ولذا أنت ترين كم أثبت عليّ من
أعداء ولاي أخطار عرّضتني)) . لقد أعجب لوقيانوس
بمحااورات افلاطون لما لها من طليعة زحقيقة . فاختار
المحاورة في أكثر كتاباته، ولكن حسب هواه ومشيتته
المطلقة في مواضيع فلسفية وسواها، فيها الكثير من الجد
والعبث ، وفيها ما يشبه الألفاظ الحكيمية والأخلاقية .
البعض الآخر من محاوراته تام التاليف في نوعه
وخليق بالمنزلة الثانية بعد محاورات افلاطون العظيم .

إن تفرّق لوقيانوس يظهر جلياً في محاورات
الآلهة، والآلهة البحرية، ومسامرات الأموات، وفي
الدراما القصيرة، واستفتاء ميت، ومذاهب، والصيد
والديك، وإيكار ومينيب. إن الحديث فيها تمليه دائماً
فكرة هجائية أو نية أخلاقية أو فلسفية. لقد كان يتخيّر
ألفاظه ونكته ليُجعل النتيجة دائماً حاضرة في ذهنه وهو
ما ستره في فصول هذا الكتاب.

• لوقيانوس السميساطي: ولد لوقيانوس سنة
125، ومات سنة 180 وهناك من يقول إنه مات سنة
175 م. عاش بالقرن الثاني الميلادي وعرف بكتاباته
باللغة اليونانية القديمة. وهو عالم وفيلسوف وكاتب
ساخر ويعد أشهر المفكرين والفلاسفة والعلماء في
عصره.

• الياس سعد غالي: ولد في دمشق 1908. عمل
مترجماً محلفاً في المحاكم، وأمين مكتبة وزارة العدل،
نشر أعماله الأدبية في جريدة الأيام سنة 1939. من
مؤلفاته: قبسات من التراث الإنساني (1983)، رسالة
الغفران والكوميديا الإلهية (1988).



المنظمة العربية للترجمة

ISBN 978-614-434-071-4



الشمس: 12 دولاراً
أو ما يعادلها